المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي

في هذا العدد

- ما تريده « اسرائيل » وما يريده العرب ..
- نشأة الحركة الصهيونية..
- الحرب العراقية ـ الايرانية ..
- المسؤولية والانتماء ..
- على هامش قمة تورنتو للدول الصناعية الراسمالية ..

العددان : ٢٢٣ ـ ٢٢٤ آب ـ ايلول ١٩٨٨

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المحتويات

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
★ ما تريده « اسرائيل » وما يريده العرب ..	٢
الرفيق الدكتور فواز صباغ عضو القيادة القومية الاحتياط « رئيس هيئة التحرير »	
● دراسات سياسية	
★ نشأة الحركة الصهيونية ..	٦
الرفيق : د . حامد خليل	
★ الحرب العراقية ـ الايرانية ..	٢٦
الرفيق : د . ياسين سلمان	
● دراسات فكرية	
★ المسؤولية والانتمـاء .. الموقع المتبادل في السياق الاجتماعي والتاريخي الواحد	٣٤
الرفيق : فايز عز الدين	
● دراسات اقتصادية	
★ على هامش قمة تورنتو للدول الصناعية الراسمالية : قضايا وآفاق التنسيق الجماعي في العالم الراسمالي ..	٤٦
الرفيق : د . مهدي دخل الله	

« المناضل ص . ب ـ ١١٥١٢ ـ دمشق »

المحتويات

● دراسات اشتراكية

★ العمل الاشتراكي ٦٢
مفهومه ـ مضامينه ـ خصائصه ـ مراميه
الرفيق : د . ناصر عبيد الناصر

● دراسات تاريخية

★ ابلا ـ والتوراة .. ٧٦
الرفيق : محمد وحيد خياطة

● تقارير

★ زيارة وفدنا الحزبي والحكومي ٨٤
لجمهورية كوريا الديمقراطيـة ..

● انشطة ووثائق ٨٩

« المناضل ص . ب ـ ١١٥١٢ ـ دمشق »

الافتتاحية

ماتريده "اسرائيل" وما يريده العرب ..

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

بعد الفشل الذريع الذي منيت به السياسة الصهيونية والامريكية في الوطن العربي خصوصا بعد توقف انتشار نهج كامب ديفيد وسقوط اتفاقية ١٧ ايار في القطر اللبناني الشقيق بنضال القوى الوطنية والتقدمية وتحالفها مع ثورة الحزب في القطر العربي السوري، تلك الاتفاقية السيئة الذكر التي حاولت قوى الانعزال المتحالفة مع الدوائر الصهيونية التي تحتل جنوب لبنان وبعض الدوائر الرسمية الحاكمة المرتبطة بالسياسة الامبريالية ، تلك الاتفاقية التي حاولوا بها تعميم سياسة كامب ديفيد لتشمل اكثر من قطر عربي ولتكون

دليلا لانظمة عربية اخرى تمهيدا لادخال الجانب الفلسطيني في المأزق الذي تريده لها الصهيونية والدوائر الرجعية العربية .

وفي الوقت الذي تتصاعد فيه الانتفاضة الجماهيرية في الاراضي العربية المحتلة مقدمة بذلك دليلا قاطعا للمستسلمين والرجعية من الجانب الفلسطيني والعربي ، والصهاينة وحلفائهم الامبرياليين الغربيين من الجانب المعادي على رفض هذه السياسة . في هذا الوقت يزداد تكالب القوى المعادية لتنفيذ ما ترمي اليه ، وتتوسع دائرة الهجمة على وطننا وامتنا وجماهيرها سواء في الارض المحتلة او خارجها وخصوصا على القوى والانظمة والهيئات التي تقف وتقاوم تلك السياسة الامبريالية الصهيونية وفي طليعة تلك القوى حزب البعث العربي الاشتراكي وثورته في القطر العربي السوري والقوى والحركات التي تتحالف معه وتنتهج سياسة معادية للمطامع الصهيونية والرجعية .

لقد فشلت الضغوط السياسية والاقتصادية وغيرها التي مورست على القطر العربي السوري وعلى جماهيره وقواها الثورية والتقدمية وفشلت المؤامرات التي حيكت لاشغال قيادته في جوانب متعددة من الحياة سواء منها ما يتعلق بالمؤامرات الداخلية التي اندحرت فلول عصاباتها واجرائهم ، او المؤامرات الخارجية التي حاولت اشغال سورية وقياداتها ردحا من الزمن خصوصا تلك التي تمت في لبنان وما تزال خيوطها وذيولها تعشعش في بعض مناطقه .

في الوقت الراهن ومع اقتراب موعد انتهاء الفترة الرئاسية في لبنان ، تحاول الدوائر الصهيونية الامريكية وحلفاءها الانعزاليين التقسيميين في لبنان ، تحاول عرقلة الانتخابات الرئاسية على امل مجيء رئيس جديد ، يرعى المصالح الامبريالية ويستمر في ظله وتحت رئاسته احتلال (اسرائيل) لجنوب لبنان وضرب القوى الوطنية والتقدمية المتحالفة مع سورية لاستمرار اشغال سورية عن اهدافها القومية الكبرى : وفلسطين في مقدمتها .

ان محاولة فرض رئيس لبناني يخدم المصالح الصهيونية والامريكية والانعزالية التقسيمية ، تحت اي ظرف او مبرر من المبررات خصوصا تلك المبررات او الظروف التي صاغها واوجدها في الواقع عملاء الاستعمار والصهيونية والسياسيون الذين كانوا اداة طيعة بيدهم في وقت سابق من بدايات استقلال لبنان وصياغة كيانه الطائفي السياسي الرجعي الذي كان هدفه خدمة المصالح المؤقتة للافراد وليس خدمة مجموع الجماهير ، نقول ان محاولة فرض رئيس من هذا النوع سيقابل بكل الثقل الذي يفرضه الجانب الوطني والاخلاقي بالمقاومة الوطنية المشروعة لمثل هذا النهج . ولا بد من التذكير ان آلاف الشهداء والضحايا والتدمير الذي حصل في لبنان يجب ان لا يتمخض عن تكريس السياسة البالية التي ثارت عليها جماهير لبنان وقواه الوطنية والتقدمية .

ان مجتمعا في الربع الاخير من القرن العشرين لا يمكن ان يصاغ – وفي ظروف القيم الحضارية للامة العربية – لا يمكن ان يصاغ على اساس طائفي او ديني متزمت ، لان الصفة القومية الحضارية الانسانية للامة العربية ومنذ بدء التاريخ هي المساواة بين ابنائها ايا كان مذهبهم الديني او ولادتهم الطائفية ، لان السياسة المغايرة لذلك وهي السياسة الطائفية الصهيونية التي تحاول ان ترسخ المذهب الطائفي لتكون ((اسرائيل)) دولة يهودية طائفية نقية خالية من العرب المسلمين والمسيحيين وغيرهم ، وهذه السياسة الصهيونية هي التي تشجع الكيانات الطائفية على التحرك والظهور في الوطن العربي لاعطائها المبرر ، كي لا تكون الدولة الطائفية الوحيدة في المنطقة العربية .

ان قيم الحضارة العربية تفرض علينا ان نقاوم تلك السياسة ومصادرها ورموزها حتى لو كانوا عربا – وان ادعوا ذلك – لان هذه السياسة هي ما تريده ((اسرائيل)) ..

وما يريده العرب قطعا هو عكس ذلك تماما ..

دراسات سياسية

نشأة الحركة الصهيونية..

الرفيق: د. حامد خليل

مقدمة :

لم تكن الحركة الصهيونية ذات يوم سوى ظاهرة سياسية اجتماعية اقتصادية تخص جماعة من البشر عاشت في اطار تاريخي معين ، حكمته شروط اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية زمانية ومكانية معينة ، فكانت بشكل أو بآخر استجابة لتلك الشروط وردة فعل ضدها في آن معا .

بمعنى آخر اقول ان الصهيونية ، كأي ظاهرة اجتماعية اخرى ، هي وليدة مرحلة تاريخية معينة ، قادت اليها مجموعة مقدمات لم تكن الا نتيجة طبيعية لها . ولذا فإن دراستها أو تفسيرها خارج اطار السياق التاريخي الذي تشكلت فيه انما هي دراسة غير علمية ، ولا يمكن ان تقودنا الا الى التعثر في تكوين صورة دقيقة عنها .

وانطلاقا من هذا المنهج التاريخي في التفسير اقول ان الصهيونية حركة سياسية اجتماعية قومية طبقية عرقية كان تأسيسها استجابة لمصالح **البورجوازية اليهودية** في فترة تاريخية معينة ، وتعبيرا عن طموحاتها في ان تكون لها سوقها القومية الخاصة بها ، وان تمتد هيمنتها لتشمل منطقة مهمة جدا تجعلها ذات شان كبير في الساحة الدولية على اكثر من صعيد .

كذلك فإن الحركة المذكورة كانت بالنسبة للبورجوازيات الاوربية ، الامل الكبيرفي التخلص من مزاحم شرس في السوق الاقتصادية الاجتماعية الداخلية ، وفي جيش كبير من العمال والحرفيين الصغار الذين بدات تتسرب اليهم الافكار الثورية في ذلك الحين ، وفي الوقت نفسه الامل في ان تكون لتلك البورجوازيات المتطلعة الى استعمار الاسواق الخارجية ؛ قوى تابعة ، لها نفس التكوين الحضاري نفسه ، وتقوم بدور الحامي لمصالحها .

اي ان الحركة الصهيونية كانت على هذا الاساس النقطة التي التقت عندها مصالح كلتا **البورجوازيتين اليهودية والاوربية** ، التي لم يكن دور الاخيرة في تاسيسها اقل شأنا وفاعلية من دور الاولى . وربما لانغالي إذا قلنا ان البورجوازية الاوربية هي صاحبة الفكرة الصهيونية ، والمنظرة لها ، والراسمة لاستراتيجيتها ، وان مافعلته البورجوازية اليهودية حين دخلت مرحلة التاسيس الرسمي ، لم يكن سوى اعادة صياغة منظمة وعملية لما كانت الاولى قد حددت معالمه وآفاقه قبل ذلك التاريخ باكثر من نصف قرن على الاقل .

ولتوضيح ماسبق اقول ان انتصار البورجوازية النهائي في اوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أفضى الى القضاء على التبعثر الاقطاعي ، وانشاء الدولة القومية الحديثة التي كان اهم ماتعنيه توفير سوق مستقلة حرة ومفتوحة تماما لتلك الطبقة البورجوازية الصاعدة ، هي سوقها الوطنية او القومية التي لاتقبل ان ينافسها فيها احد .

وحين انتقل النظام الراسمالي من مرحلة المزاحمة الحرة الى مرحلة اندماج راس المال المصرفي براس المال الصناعي ، وبروز الاحتكارات الكبرى وتصدير الرساميل ، تطلعت تلك البورجوازيات الى الخارج باحثة عن المواد الخام والاسواق لتصريف فائض ماتنتجه فكانت النتيجة الطبيعية لكل ذلك ، والتي تتفق تماما مع منطق النظام الراسمالي ، بطرق شتى لاقتلاع مزاحم عنيد في السوق المحلية هو البورجوازية اليهودية ، واقتلاع كتلة بشرية فقيرة كبيرة مهاجرة من بلدان اوربا الشرقية امتدت اليها الرياح الثورية ، فاصبح وجودها ينذر بالخطر . وفي الوقت نفسه ، زرع تلك الجموع في مناطق التوسع الاستعماري حيث تكون امتدادا للبورجوازيات الام وحامية لمصالحها .

اما في الجانب الآخر ، فإن البورجوازية اليهودية ، والتي هي من نتاج التغيرات الكبيرة والتاريخية التي طرات على اوربا مع صعود الراسمالية وانتصار علاقاتها الانتاجية والاجتماعية وتحمل السمات الرئيسة للحركات القومية التي ظهرت هناك كافة ، كانت قد دخلت في صراع اقتصادي مرير ودام مع البورجوازيات الاوربية في ظل نظام التنافس الحر ، عبر عنه على الصعيد السياسي **بحركة العداء للسامية** ، الامر الذي دفعها الى البحث عن سوق وطنية خاصة بها لايزاحمها فيها احد . وفي الوقت نفسه العمل على توسيع تلك السوق والهيمنة على اسواق الاخرين .

ولذا يحق لنا القول ان الحركة الصهيونية هي حركة البورجوازية اليهودية التي هي **وليدة النظام الراسمالي الاستعماري** ، وجزء منه ، وامتداد له من جانب ، وردة فعل ضده ، وابتعاد عن مناخه واجوائه التي تعطي الفوز والسبق في نهاية الامر دوما لقوى البورجوازية المحلية المسيطرة على الدولة القومية الحديثة من جانب آخر (١) . وساحاول فيمايلي التدليل على صحة ما اقول .

المنشا البورجوازي غير اليهودي للحركة الصهيونية

صحيح ان الحركة الصهيونية لم تتأسس كحركة سياسية منظمة الا في اواخر القرن التاسع عشر . لكن الفكرة المحورية التي تقوم عليها ، اعني عودة اليهود الى فلسطين ، تعود ، وعلى يد المفكرين والساسة الاوربيين تحديدا ، الى قبل ذلك التاريخ بكثير ، اي الى القرن السادس عشر . والحقيقة ان الاسباب الاوربية الباعثة على الدعوة المذكورة لم تكن طوال تلك الفترة الاسباب نفسها ، وهذا امر طبيعي ومفهوم تماما . اذ ان السياق التاريخي الذي نمت فيه كان يطرا عليه الكثير من التغير من عصر الى عصر . لكن الثابت وراء كل تلك المتغيرات هو ان المصلحة الاقتصادية والسياسية للبورجوازية الاوربية الصاعدة ، هي التي تفسر كل مارافق تلك الدعوة (**عودة اليهود الى فلسطين**) من تطورات .

فحين ايقن ((**مارتن لوثر**)) ، في القرن السادس عشر ، ان اليهود لن يرتدوا الى المسيحية ، وانهم يشكلون خطرا على دعوته . نادى بعودتهم الى ارضهم (٢) وفي القرن السابع عشر ، وبسبب الاضطهاد الذي قاساه البيورتيانيون في انكلترا من قبل الكنيسة الرسمية ، روجوا للعهد القديم ، احتماء بالافكار الواردة فيه ، وكسبا لليهود . فكان من بين مادعوا اليه عودة اليهود الى فلسطين وقد تحمس ((**كرومويل**)) ، رئيس وزراء بريطانيا في منتصف القرن المذكور ، لتلك الدعوة ، لكنه اشترط ان تسبق ذلك عودتهم الى بريطانيا كخطوة على الطريق . وقد كان الكسب التجاري هو الحافز الاساسي له لفعل ما فعله فقد كان بحاجة الى اموال التجار اليهود لاستثمارها في الصناعة الانجليزية وخدماتهم كجواسيس يزودونه بمعلومات عن السياسات التجارية للدول المنافسة له ، وعن المؤامرات التي يدبرها انصار الملكية في الخارج ، بفضل اتصالاتهم وتنقلهم في اوربا (٤) .

وقد فعل الشيء نفسه (**الدعوة الى عودة اليهود**) مفكرون وسياسيون اوربيون آخرون في القرن نفسه ، امثال **اسحق دي لابيرير** سفير فرنسا في الدانمارك عام ١٦٤٤ ، والعالم الفرنسي **بيير جوريو** ، ومؤسس الحركة التقوية الالمانية **فيليب جاكوب** ، والدانماركي **هولجر بولي** الذي حث ملوك اوربا على القيام بحملة صليبية « **لتحرير فلسطين** » وتوطين اليهود فيها وقدم عام ١٦٩٦ خطة مفصلة لملك انجلترا **وليم الثالث** بهدف تحقيق مشروعه ذلك حث الضابط السويدي **اندرز كمب اليهود على التهيؤ للعودة الدائمة الى فلسطين (٥)** .

اما في القرن الثامن عشر ، فإن الروائح التجارية والسياسية كانت اكثر حدة والمصالح الخفية المحرضة للدعوة اكثر وضوحا . فقد طلب **ريتشارد بير** اسقف ساند بروك من رئيس الوزراء الانجليزي « **وليم بت** » ان يساعد على تحقيق « عودة اليهود نهائيا الى الارض المقدسة » ، معللا ذلك بان انجلترا واسطولها التجاري سيستفيدان سياسيا واقتصاديا . فقد قال « ... عندما يجتمع اخواننا العبريون معا ، ويقيمون في وطنهم من جديد ، فسيكونون بحاجة الى كثير من السلع المصنعة ومستلزمات الحياة .. وبخاصة الاصواف والكتان . وسيبقون لسنوات كثيرة بحاجة الى شراء هذه الحاجيات من الامم الاخرى » (٦) .

اما « **جيمس بشينو** » صديق ريتشارد المذكور ، فقد اضاف بعدا آخر لدعوته ، وهو خوفه من ان يسيطر الفرنسيون على فلسطين . ولذلك دعا عام ١٨٠٠ الى ان تقوم الحكام الانجليز باستخدام نفوذهم لدى السلطان العثماني التخلي عن فلسطين ، وتسليمها لليهود لكي يحولوا دون النتائج المحتملة **(سيطرة فرنسا)** التي لو حدثت فإنها ستكون ضربة قاتلة للحكومة الانجليزية وتجارتها على حد تعبيره (٧) .

وقد تبنى **نابليون الاول الفكرة الصهيونية** المذكورة طمعا في دفع يهود افريقيا وآسيا الى التطوع للقتال معه في حملته الكبرى على الشرق ، فقد اصدر بيانا موجها الى اليهود ، قال فيه « **... سارعوا! ان هذه هي اللحظة المناسبة للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم . تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين ، وهي وجودكم السياسي كأمة بين الامم** » (٨) .

على ان التحول الكبير الذي طرا على الدعوة المذكورة انما تم في القرن التاسع عشر وهذا امر طبيعي ومفهوم تماما . فقد دفعت مرحلة الراسمالية الاحتكارية وتصدير الرساميل والتنافس الاستعماري بين الدول على اقتسام مناطق النفوذ ، البورجوازيين الاوربيين الى العمل على السيطرة على الاسواق الخارجية ، مما اوجد المناخ الملائم لدفع الفكرة الصهيونية الى غايتها القصوى ، اعني اقتلاع اليهود من اوطانهم ، وزرعهم كمستوطنين استعماريين في فلسطين .

ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر بلغ الحماس بين الساسة البريطانيين لعودة اليهود الى فلسطين اوجه . وقد عبر عن ذلك الكاتب « **دافيد بولك** » بقوله « منذ ذلك الحين بدا الاتحاد العجيب بين سياسة الامبراطورية ونوع من الصهيونية المسيحية الابوية الذي تجلى في السياسة البريطانية فيما بعد » (٩) .

فلكي تقطع بريطانيا الطريق على فرنسا واقطار اوربية اخرى في الشرق الاوسط وحتى تحكم سيطرتها على الهند المهددة من قبل فرنسا وروسيا ، وليكون طريق العبور الى الهند عبر سورية آمنا ، سارع اللوردات البريطانيون الى حث حكوماتهم باتجاه العمل على تشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين . وقد كان شعار اللورد **شافتسبري** في هذا المجال «وطن من دون شعب لشعب من دون وطن» . هو الشعار الذي حوله الصهاينة فيما بعد الى « **ارض بلا شعب لشعب بلا ارض** » . وعندما عين صديقه « **يونج** » نائبا للقنصل في القدس كتب له يقول « ياله من حدث رائع ! ان مدينة شعب الله

القديمة توشك ان تستعيد مكانتها بين الامم . » وقد ايده في ذلك **دوق كنت** ، وكثير من اعضاء مجلس اللوردات امثال **كروفورد وجرد وسنفتر وغراي وبكسلي بالإضافة الى اسقف مانشغ وغلادستون من اعضاء البرلمان (١٠)** .

وحين عين « بالمرستون » وزير الخارجية البريطاني عام ١٨٣٨ ورئيس الوزراء فيما بعد ، « ينغ » نائبا للقنصل في القدس كانت تعليماته له تنص بالتحديد على ان من بين مهامه **حماية كل اليهود والمقيمين في فلسطين** . وكانت تتضمن ايضا اعترافا **باليهود كأمة** . وقد تبنى المذكرة المقدمة من سكرتير البحرية البريطانية **« هنري انس »** ، والموجهة الى كل دول شمال اوربا وامريكا : مطالبة الحكومات بتنفيذ ارادة الله على طريق السماح لليهود بالعودة الى فلسطين (١١) ورفعها الى الملكة فكتوريا مقترحا تبنيها .

وعلى الرغم من عدم حماس اليهود للفكرة ،ومعارضة السلطان العثماني لها ، فإن « بالمرستون » استمر في مشروعه ، فكتب عام ١٨٤٠ لسفيره في القسطنطينية قائلا : **« لاتتوان عن متابعة نصحي للباب العالي بدعوة اليهود للعودة الى فلسطين »** .

والحق ان **« بالمرستون »** لم يكن يتصرف في هذا المجال كفرد فحسب ، وانما كان يعمل من خلال مؤسسة كان لها باع كبير في توجيه السياسة البريطانية آنذاك فها هو **« متفورد »** الموظف الكبير في وزارة الخارجية يتقدم عام ١٨٤٥ بخطة بخصوص السياسة البريطانية في الشرق جاء فيها **« الخطة التي اقترحها هي ايجاد امة يهودية في فلسطين كدولة محمية تحت وصاية بريطانيا العظمى اولا ، ثم توطين اليهود نهائيا كدولة مستقلة »** . بإقامة مستعمرات يهودية بشكل تدريجي على ان تكون تحت الحماية البريطانية ، ثم يمنح اليهود في النهاية حكما ذاتيا .

وقد عبر **الكولونيل تشرشل** الذي ارسل الى سورية لمساعدة السلطان العثماني في الاطاحة بمحمد علي ، عن موقف مماثل حيث

كتب الى **موسى مونتفيوري ، رئيس مجلس الوكلاء اليهود في لندن** يقول « لا اخفي عنك رغبتي الجامحة في ان ارى قومك يحاولون استعادة وجودهم كشعب .. » . والطريف ان المجلس المذكور هو الذي رفض هذه الدعوات (١٣) .

اما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقد زاد اهتمام البريطانيين بالمشروع الصهيوني المذكور ، لاسيما بعد ان نضجت الاسس المادية التي ادت الى طرحه في السابق ، والحقيقة ان اية لائحة بأسماء ممثلي الطبقة الحاكمة الانجليزية في السلطة المتبنين للمشروع المذكور ، والعاملين من اجل تنفيذه كجزء من جهودهم لتحقيق الاهداف الامبريالية ، البريطانية ومطامحها ، ستكون طويلة جدا ، وستضم اسماء شهيرة في تاريخ الاستعمار الحديث ، مثل **دزرائيلي ولويد جورج رئيسي الوزارة البريطانية ، وتشامبرلن وزير المستعمرات ، ولورنس اوليفانت وزير الخارجية وبلفور رئيس الوزارة ووزير الخارجية (١٤) وجماعة « صندوق اكتشاف فلسطين » ... وغيرهم (١٥)** .

وقد ادرك **« هرتزل »** ذلك الحماس البريطاني للمشروع ، فاعلن امام الاجتماع التأسيسي للاتحاد الصهيوني البريطاني عام ١٨٩٨ بانه منذ اللحظة الاولى اتجهت انظاره الى انجلترة . وقد عبر عن التلاقي في المصالح بين الصهيونية وبريطانيا ، فاعلن في خطاب له عام ١٨٩٩ ان الانجليز كانوا اول من ادرك ضرورة التوسيع الاستعماري في العالم الحديث .. ولذا فان الفكرة الصهيونية تحظى في انجلترة بتفهم سريع وسهل (١٦) .

على ان الامر لم يكن يقتصر على البورجوازية الانجليزية وحدها وانما اتسع نطاقه حيث التقت على تحقيقه معظم البورجوازيات الاوربية والامريكية . ففي فرنسا اهتم **نابليون الثالث بالمشروع الصهيوني** ، وبتحقيق اهدافه ، وخاصة في الوقت الذي كان يفاوض فيه حكام مصر من اجل شق قناة السويس ،وتعزيز النفوذ الفرنسي

في المنطقة ، وقد اسس « **هانري دونان** » الشخصية المقربة من نابليون « جمعية استعمار فلسطين » في فرنسا برعاية الامبراطورة اوجيني ، زوجة نابليون ، اما « **ارنست لاهاران** » ، سكرتير نابليون ، فقد عبر اوضح تعبير عن المطامع الامبريالية الفرنسية في الشرق ، وعن اهمية المشروع الصهيوني بالنسبة لها ، في كتاب اصدره عام ١٨٦٠ تحت عنوان « **المسألة الشرقية واعادة احياء القومية اليهودية** » دعا فيه اليهود الى استعمار فلسطين ، واقامة دولة فيها على طريق جهود اثريائهم ، موضحا الاسباب التي تجعل الدول الاوربية تنظر بعين العطف الى هذه الخطة قائلا « ... على الصناعة الاوربية ان تبحث كل يوم عن اسواق جديدة ، وليس لدينا اي وقت لاضاعته . لقد آن الاوان الذي يفرض اعادة احياء الامم القديمة لشق طرق رئيسية وفرعية امام الحضارة الاوربية » (١٧) .

وتحقيقا لذلك حث اليهود على السعي لوضع ذلك المشروع موضع التنفيذ قائلا : « **ستكونون مركز اتصال عظيم بين القارات الثلاث . ولسوف تكونون حملة الحضارة الى شعوب لا تعرفها ، وستكونون معلميهم في العلوم الاوربية ، والوسيط بين اوربة وآسية البعيدة ، وذلك كي تمهدوا الطرق التي تقود الى الهند والصين** »(١٨) . **وقد كان الصهاينة اليهود مطمئنين الى هذا الدعم الفرنسي** . فقال احد زعمائهم « **موسى هس** » : لا شك ان المساعي الفرنسية ستمد لنا يد العون . ستكون فرنسا ، **صديقتنا الحبيبة** المخلص الذي سيعيد لشعبنا مكانته في التاريخ العالمي (١٩) .

اما في امريكا فقد تزعم الممول والرحالة العالمي « **وليام بلاكستون** » الاتجاه الداعي الى نشر الافكار الصهيونية في امريكا قبل نشوء الحركة الصهيونية بعقدين من الزمن . وفي عام ١٨٩١ تقدم باسترحام ، وقع عليه اكثر من اربعمئة من اهم الشخصيات الامريكية ، الى الرئيس الامريكي « **هاريسون** » ووزير خارجيته

« **بلين** » قالوا فيه : « **لماذا لا نعيد فلسطين لليهود ؟** انها وطنهم حسب توزيع الله للامم . وهي ملكهم الذي لايمكن تحويله لغيرهم ، والذي طردوا منه عنوة . . . »(٢٠) .

نخلص مما تقدم الى ان المشروع الصهيوني استكمل عناصره الاساسية ، وبرنامج عمله المبدئي (**استعمار فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها خدمة للمصالح الامبريالية**) خارج الاوساط اليهودية في مرحلة سابقة على المرحلة التي شهدت بروز اهتمام البورجوازية اليهودية الجاد والعملي به ، وان ذلك يعود بالاضافة الى توجه البورجوازيات الاوربية نحو استعمار مناطق العالم والهيمنة على اسواقه ، والتنافس فيما بينها ـ الى اسباب داخلية اخرى اهمها التنافس بين البورجوازيتين الاوربية واليهودية في الاسواق المحلية الاوربية وذلك التنافس الذي بلغ حدا لم تعد البورجوازية الاولى قادرة على تحمله . ولذلك اخذت تسعى بطرق شتى لوضع حد له ، كان من بينها اثارة العداء لليهود وهو ما سمي في الادبيات الصهيونية بظاهرة العداء للسامية . وقد ادرك زعماء الصهاينة هذه الحقيقة ، فحاولوا الافادة منها بدفعها الى حدودها القصوى .

يقول « **هرتزل** » : « لقد تحولنا في **الجيتو** بصورة تلفت النظر الى شعب بورجوازي . ثم خرجنا من **الجيتو** لنشكل منافسا عنيدا للطبقة الوسطى . وما ان تحررنا وجدنا انفسنا متحمسين في اوساط البورجوازية . . . البورجوازية المسيحية التي لن يضيرها القذف بنا الى الاشتراكية كقربان للسلام . مع ان ذلك لن يجديها نفعا »(٢١) . وقد كان الزعيم الصهيوني البارز « **موسى هس** » على ثقة تامة بان البورجوازية الاوربية ستساعد اليهود على انشاء دولتهم كي تتخلص منهم ، حيث قال : « نعتقد ان الامم المسيحية لن تعارض احياء الدولة اليهودية . لانها بهذه الطريقة **ستتخلص بلدانها من شعب غريب يشكل شوكة في جنبها** »(٢٢) .

الا ان الزعيم الصهيوني « سيركين » كان اكثر وضوحا في التعبير عن حالة التنافس المذكورة ، فقد قال : « كان النضال من اجل السيطرة الاقتصادية على الصعيدين الفردي والطبقي ، هو الصفة المميزة للمجتمع البورجوازي المعاصر . ولذا فان انعتاق اليهودية والسماح له بالمشاركة في جميع نشاطات المواطنين لم يكن بالامكان جعلهما ينسجمان مع مبدا الانانية الذي يعتبر اساسيا للمجتمع البورجوازي » وكان يدرك ان مصلحة البورجوازي المحلي هي التي ستعطي الاهمية الاولى . ولذلك قال : « **ان المجتمع البورجوازي يضرب على صدره ،ويصرخ صرخة الكذب ايها اليهودي ـ العبد : ان ماهو حق لي ليس كذلك بالنسبة لك . ان من اخترعه هو الماني في روحه . اما أنت فانك تزيف وتشوه »(٢٣) .**

وقد كشف النقاب عن الدور الذي لعبته الطبقة الوسطى الاوربية في تأجيج ظاهرة العداء للسامية والاسباب التي دفعتها الى ذلك ، حيث قال : « بينما سببت المصالح الطبقية بشكل عام الحرب على اليهود ، فقد كانت الطبقة الوسطى هي : اكثر هذه الطبقات تأثرا بذلك ، لانها خلال الصراع التنافسي العام خسرت كثيرا نتيجة للمنافسة اليهودية لها .. فالراسمالي اليهودي ، كالراسمالي من الاغيار ، قد وجه ضربات قوية الى البورجوازية الصغيرة . وصاحب المخزن اليهودي كان في صراع حاد مع جاره المسيحي في جذب الزبائن .. وكذلك السمسار اليهودي كان يحاول التغلب على منافسه المسيحي وكانت منافسة اليهودي اشد من ان يتمكن احد من مواجهتها ، لان الاختيار الطبيعي في الصراع من اجل البقاء ، جعل اليهودي منافسا عنيفا في الاعمال التجارية . وهذا هو السبب الذي جعل **اللاسامية حجر الاساس** في البرنامج الاجتماعي السياسي لهذه الطبقات »(٢٤) .

وخلافا لما يقال بان صفات اليهودي وهويته الدينية اوالقومية هي السبب في هذا العداء للسامية الذي اثارته الطبقات الوسطى

الاوربية ضده، بين سيركين ان المصلحة الاقتصادية وحدها هي المسؤولة عن تلك الحركة ، فقد قال عن تلك الطبقات ان معارضتهم لليهودي لم تكن بسبب صفاته اليهودية ، وليست مرتكزة على سوء فهم قومي وديني ، وانما الاسباب الوحيدة للاساميتهم كانت انانيتهم وشهوتهم في الحصول على اموال اليهود ، ورغبتهم في اضعاف المنافس اليهودي وطرده من البلاد(٢٥) .

المنشا البورجوازي اليهودي للحركة الصهيونية وعلاقتها بالاستعمار :

ادى تضافر عوامل عدة الى حدوث تحول كبير في الساحة الصهيونية في العقدين الاخيرين من القرن الماضي .

فقد افضى الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتدهور لغالبية اليهود في روسيا القيصرية واقطار اوربية شرقية وغربية ، والمذابح العنصرية الشهيرة التي تعرضوا لها ،وتدفق الناجين منهم كمهاجرين الى اوربا الغربية وامريكا ، واستفحال ظاهرة العداء للسامية بين الاوربيين بتحريض وتوجيه من البورجوازيات الحاكمة وازدياد حمى الشوفينيات القومية الفكرية والسياسية بقيادة البورجوازية الصاعدة في مناطق التجمع اليهودي في العالم ـ اقول افضى ذلك كله الى التعجيل في عملية وعي البورجوازية اليهودية لمصالحها ، وبالتالي بلورة المشروع الصهيوني لديها باعتباره الحل الوحيد لما كان يسمى بالمسالة اليهودية في العالم .

ومنذ ذلك الحين دخل النشاط الصهيوني مرحلة نوعية جديدة تم فيه ارساء حجر الاساس لكل ما تحقق على الارض فيما بعد .

صحيح ان البورجوازية اليهودية لم تات ، على صعيد الفكر ، بجديد ، ولم تبدع شيئا متميزا عما ابدعته البورجوازيات الاوربية

الام بخصوص الفكرة الصهيونية والمشروع الصهيوني المتمثلين في استعمار فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها ، وان ما قامت به لم يكن سوى اعادة صياغة للمشروع الاوربي القديم المذكور . لكن الجديد الذي اتت به انما هو تحويل ذلك المشروع من كونه استجابة ساكنة ومنفعلة لنداءات البورجوازيات الاوربية الداعية الى ان يأخذ اليهود مكانهم الطبيعي في تنفيذ المشاريع الامبريالية في البلدان الاخرى ، الى مشروع يكون مشروع البورجوازية اليهودية ذاتها ، المعبر عن مصالحها ومطامحها القومية الطبقية العنصرية والقائم على اساس تبادل الخدمات والمصالح بين البورجوازيتين اليهودية والاوربية ، حيث تكون الاولى نداء للثانية عوضا عن ان تكون مجرد تابعة لها ، واداة لتنفيذ اغراضها ، وتقوم بدور الشرطي لحماية مصالحها .

بمعنى اخر اقول ان البورجوازية اليهودية بلغت حدا من النضج جعلها تعي بعمق مصالحها ، وتعي في الوقت نفسه حاجة البورجوازية الاوربية لتنفيذ مشروعها ولذلك دخل نشاطها في الفترة المذكورة مرحلة نوعية جديدة سعت من خلاله الى ان تكون قوة مادية فاعلة تتحرك وفقا لمصالحها الطبقية المستقلة . فأقامت التنظيمات السياسية والادارية والمالية ، وبنت الاجهزة والادوات اللازمة لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ الفوري(٢٦) . وهي النشاطات التي اصبحت معروفة ، ولا اجدني بحاجة الى سرد تفاصيلها . وانما ساكتفي في هذا المقام بالتدليل على فكرتي التي اشرت اليها منذ البداية ، وهي ان المشروع الصهيوني في جانبه اليهودي انما هو مشروع سياسي اجتماعي قومي طبقي عرقي افضت اليه مصالح البورجوازية اليهودية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، وتبلور على يدها ، وتم تحقيقه بقيادتها ، معتمدا على النقاط الرئيسية التالية :

١ ــ ان التدقيق في التراث الصهيوني يكشف بوضوح عن مدى ارتباط الحركة الصهيونية وايديولوجيتها بمصالح الطبقة الوسطى اليهودية ، وتأثرها بالحركات القومية والوطنية الناشئة في اوربا . فليس مصادفة وعبثا ان تكون ابرز الاسماء القيادية في تاريخ الحركة الصهيونية من الذين ينتمون الى الطبقة المذكورة . ونذكر على سبيل المثال « **هرتزل** » الصحافي الناجح وابن الاسرة التي عملت في ميدان المصارف والبورصة ، وماكس نورداو الطبيب والكاتب اللامع ، وجاكوباس كان من اصحاب المصارف ، وداڤيد ولفسو ابن تاجر الاخشاب ، واوتو واربورغ عالم الطبيعة المشهور وابن الاسرة التي تملك مصارف كبيرة ، وناحوم سوكولو الكاتب الكبير وابن الاسرة الثرية التي تعمل بالتجارة ، وارثر روبين المثقف والعامل في الشركات التجارية الكبيرة ومناحيم اوسيشكين ابن التاجر الثري وفلاديمير جابوتنسكي الصحافي والكاتب وابن الموظف الكبير في الشركة الروسية للملاحة والتجارة وحاييم وايزمان الاستاذ الجامعي وعالم الكيمياء المشهور وابن تاجر الاخشاب الكبير ، وموسى هس المفكر الاجتماعي الكبير وابن التاجر المشهور ، وبنسكر الطبيب وابن العالم المعروف ، واحد هاعام الكاتب وابن العائلة الارستقراطية الاوكرانية المشهورة ... الخ .

والحق اننا نجد في كتابات اولئك اوضح تعبير عن الارتباط الذي اشرنا اليه قبل قليل ، متأثرين بثقافة عصرهم وحركاته القومية البورجوازية . فقد خاطب « كاليشر » اليهود محاكيا بذلك الحركات القومية الايطالية والبولندية والمجرية حيث قال : « **لماذا يضحي شعب ايطاليا ، وشعوب البلاد الاخرى ، بارواحها فداء لارض الاباء ، بينما نحن ، كأننا رجال عديمو القوة والشجاعة ، لا نفعل شيئا** »(٢٧) . ووجه الصهيوني يهودا القالي نداءاته الى وجهاء اليهود الاثرياء، امثال الانكليزي **مونتيفيوري** والفرنسي **ادولف كريمو**

لايمانه بأن تحقيق دعوته يرتبط بمصالحهم وأموالهم ونفوذهم السياسي .

وقد عبر « هرتزل » عن ذلك الارتباط بقوله : « ان خلق دولة جديدة ليس عملية مستحيلة . الم نشاهد اتمام هذه العملية في عصرنا بين امم لم تكن تطغي عليها صبغة الطبقة الوسطى كما هي الحال بالنسبة لنا »(٢٨) . وكذلك بقوله : « ان الطبقة الوسطى ، طبقة البورجوازية ، هي مركز المشكلة اليهودية ، وقوله : « اليس من الواضح ان حالة اليهود المنتمين الى الطبقة الوسطى أصبحت في خطر تام »(٣٠) ، وقوله ايضا : « ان هدفنا هو ان يعقد مؤسسو الشركة اليهودية والمساهمون فيها صفقة تجارية جيدة » ، وكذلك قوله : « سيكون باستطاعة اليهود الاغنياء المضطرين في الوقت الحاضر للتستر على نفائسهم ، أن يتمتعوا بممتلكاتهم « هناك » بسلام . فاذا تعاونوا على تنفيذ خطة الهجرة سيعيدون الاعتبار لراس المال هذا « هناك » . »(٣١) .

وقد كشف « سيركين » عن مازق الطبقة الوسطى اليهودية كأساس لدعوته الصهيونية ، فقال : **« بما أن اللاسامية تغذى من قبل الصراع الطبقي ، فان وضع الطبقة الوسطى اليهودية يزداد في الحقيقة سوءا كلما ازداد الصراع الطبقي حدة ... »(٣٢)** .

وربما كان جابوتنسكي اكثر دقة في الكشف عن الهوية الطبقية البورجوازية للحركة الصهيونية ، حيث قال : « ... معان برنامجنا يغري عمالا كثيرين اغراء قويا للقبول به ، فان مجالنا الحيوي هو الطبقة الوسطى . فنحن لن نستطيع ابدا أن نصل الى تفاهم مع اشخاص يحملون مثلا اعلى اخر (الاشتراكية) بالاضافة الى الصهيونية » . وقد كان صريحا جدا في الكشف عن انتمائه البورجوازي ، فقال ممجدا البورجوازية : « اذا كانت ثمة طبقة تمسك المستقبل بيديها .. فهي نحن البورجوازيين ، اعداء

الدولة مافوق البوليسية ، ومنظري الفردية ... لا داعي لان يصيبنا الخجل يا رفاقي البورجوازيين »(٣٣) .

٢ ــ لقد كانت مهمة التصدي للفكر الثوري وتنظيماته بين اليهود وفي العالم كله ، ركنا اساسيا من اركان الحركة الصهيونية فقد ارسل هرتزل الى دوق بادن طمأنه فيها بأن الهجرة اليهودية تؤدي الى اضعاف الاحزاب الثورية التي بدات تقلق الدوق والامبراطور الالمانيين . ولكي يدلل على ان المسالة هي بالنسبة له مسالة مبدا وليست مناورة سياسية، قال: **«على حركتنا ان تخوض في كل مكان معارك مرة مع الاحزاب الثورية التي ترى في الحركة الصهيونية خصما لها عن حق »** . وفي مقابلته مع الملك **غليوم الثاني** كشف النقاب عن الدور الذي تضطلع به الصهيونية في انتزاع اليهود من الاحزاب الثورية(٣٤) .

اما **« بيربور وشوف »** فقد بين ان طبقة البورجوازية اليهودية العالمية تبحث عن حل للمسالة اليهودية كوسيلة للتخلص من الجماهير اليهودية وفي حديثه عن الفائض من اليهود الذين يعيشون كبروليتاريين بقول « بنسكر » : « ان هذا الفائض الذي يشكل عبئا على نفسه وعلى غيره هو الذي يجلب مصير الشر هذا الى الشعب كله . وقد آن الاوان لايجاد مأوى لهذا الفائض » .

وقد أكد « هرتزل » الهدف نفسه ، فكتب يقول : « يستفيد اليهود المندمجون اكثر من المواطنين المسيحيين من رحيل اليهود ، لانهم سيتخلصون بذلك من مزاحمة البروليتاريا اليهودية ، وهي مزاحمة مزعجة ولا مفر منها ولا يمكن التنبؤ بنتائجها التي يطردها الفقر والضغط السياسي من مكان الى آخر وستصبح هذه البروليتاريا العائمة ثابتة » . كذلك قال : « فائدة اخرى من فوائد الهجرة ، ومهما كانت هذه اعظم فوائدها على الاطلاق ، تكمن في الانفراج الاجتماعي الذي سينتج عنها ، سيتم تسكين الاستياء الاجتماعي خلال فترة الاعوام العشرين او اكثر التي ستشغلها

الهجرة اليهودية ... وستعم الفوائد على البورجوازية ، لا فارق ان كانت موجودة في اوربا او في الدولة اليهودية ، اذ سترتاح الاولى من منافسة المهاجرين ، وسيتحسن وضعها مع خفوت حدة التناقض الطبقي » .

وفي لقائه مع ممثل القيصر بيّن « هرتزل » ان اليهود : « سيقومون بدور القوى الثورية المتفجرة مادامت المسالة اليهودية دونما حل وفقا للخطوط التي اقترحناها » . وخلال المقابلة كانت وجهة نظرهما متطابقة حول هذه المسالة وهذا ما عبر عنه ممثل القيصر بقوله : « **بناء عليه فان اقامة دولة يهودية مستقلة قادرة على استيعاب بضعة ملايين من اليهود يناسبنا اكثر من اي شيء اخر الا ان هذا لا يعني اننا نريد خسارة جميع اليهود التابعين لنا . نريد فقط التخلص من ضعاف العقول والذين لا يملكون شيئا** » .

ويبدو ان « هرتزل » كانت تقلقه هذه المسالة كثيرا ، فكتب الى ممثل القيصر ثانية قائلا : « اذا تم استيطان الشعب اليهودي في فلسطين ستجد العناصر الراديكالية نفسها مرغمة على المشاركة في الحركة ... ان احباط هذه الآمال الصهيونية سيقلب الوضع بكامله راسا على عقب ... وستكسب الاحزاب الثورية كل ما تخسره الصهيونية التي امثلها انا واصدقائي » .

وتعبيرا عن الموقف نفسه كشف « **وايزمان** » **النقاب** عن حرصه الشديد على استقرار الاوضاع في روسيا القيصرية ، حيث قال : « **انا واثق من ان المنظمة الصهيونية في كل ارجاء العالم ستضطلع بمهمة مشرفة ، وهي المساهمة في اقرار الاوضاع في روسيا** » .

وقد اعترف « **لويد جورج** » رئيس الوزراء البريطاني عام ١٩٣٧ بان الحركة الصهيونية عملت كل ما في وسعها على دعم القوى المضادة للثورة في روسيا ، حيث قال : « ... مدوا لنا يد العون في امريكا وفي روسيا . روسيا كانت تنسحب في تلك اللحظة لتتركنا وحدنا » وليس عبثا ان يعتبر **الزعيم الصهيوني جابوتنسكي ثورة اكتوبر كارثة كبرى ، ومصدر الشرور في تاريخ الانسانية اللاحق** .

٣ – ان التنسيق بين البورجوازية اليهودية والبورجوازيات

الاوربية ، والتعاون على اساس تبادل الخدمات والمصالح فيما بينها يقدم دليلا اخر ، ينضاف الى الادلة السابقة ، على الطبيعة البورجوازية للمشروع الصهيوني . فقد قال « هرتزل » في كتابه « الدولة اليهودية » : « **لو يعطينا السلطان العثماني فلسطين ، لكنا نقيم هناك جزءا من حائط لحماية اوربا في اسيا يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية** » .

ولم يخف « موسى هس » مطامع البورجوازية في القيام بدور مهم ومربح في اطار الهيمنة العامة للراسمالية الاوربية على تجارة الشرق . فقد قال : « الى ان يكتمل العمل على قناة السويس ستتطلب التجارة العالمية اقامة مخازن ومستوطنات على طول الطريق الى الهند والصين ... ولا يمكن ان يتم ذلك الا في ظل الحماية العسكرية للدولة الاوربية » . وفي السياق نفسه بين هرتزل ان الفوائد والارباح الناتجة عن تنفيذ المشروع الصهيوني لن تقتصر على الراسمالية اليهودية وحدها ، بل ستفيد منه الدول الراسمالية بشكل عام ، فقد قال : « ستحصل الدول الاوربية على فائدة اضافية تأخذ شكل الزيادة الضخمة في صادراتها التجارية » . وفي رسالة موجهة الى الملك غليوم الثاني ، قال « هرتزل » : « باستطاعة المانيا ضمان نفوذ لها في المستقبل ، وكسب سوق صناعية ومن الطراز الاول مع البدايات الاولى لعمليات الاستعمار التي سنقوم بها » . وقال ايضا : « لابد لاي دارس للسياسة من ان يلاحظ ، بسرعة البرق ، **ان الصهيونية تقدم فرصة ثمينة في توفير مدخل سهل الى اسيا ...** » .

اما « وايزمان » ، فقد بعث برسالة الى **تشرشل** قال فيها : « ان السياسة الصهيونية ازاء فلسطين لا تشكل هدرا على الاطلاق بل هي ضمانة ضرورية نقدمها لكم بسعر ابخس مما يمكن ان يحلم به اي انسان اخر » . وقد عبر « ماكس نورداو » عن الفكرة نفسها **قائلا** : « رسالتنا هي توسيع الحدود الاخلاقية لاوربا حتى تصل **الى الفرات** »(٢٤) . وانطلاقا من الموقف نفسه خاطب الانجليز قائلا: « انتم تريدون منا ان نحمي قناة السويس ، ونؤمن طريقكم الى

الهند عبر الشرق الاوسط . **نحن على استعداد لانجاز هذه المهمة الشاقة »** .

الخاتمــة :

ما استطيع قوله في خاتمة هذا البحث الوجيز هو ان المشروع الصهيوني قد تحقق ، في جانبه البورجوازي الاوربي ، بالكامل ، اي ان الاستيطان الاستعماري في فلسطين خلص البورجوازيات الاوربية من منافس محلي قوي ، ومن كتل بشرية كان يمكن ان تكون ادوات ثورية غير مريحة ، واضاف الى قوتها قوة جديدة تابعة لها ، وتقوم بدور الحامي لصالحها في منطقة من اكثر المناطق حساسية في العالم

اما في الجانب اليهودي ، فان المشروع لم يتحقق منه الا نصفه فصحيح ان البورجوازية اليهودية افلحت في تأسيس سوقها القومية المستقلة نسبيا ، لكنها عجزت عن تحقيق هدفها الاساسي الثاني ، الا وهو اتساع دائرة نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري حيث تكون في مصاف القوى العظمى ، وندا لها ، عوضا عن ان تظل تابعة لها ، ومكرسة لخدمتها . ويعود ذلك في نظري الى سببين : سبب عربي ، وهو احكام المقاطعة العربية لها ، وآخر دولي يتمثل في الدعم الاشتراكي للموقف العربي مــن جهــة ، ورفــض الراسمالية العالمية الضمني لتلك الاطماع من جهة اخرى .

وبناء عليه ارى اننا لكي نتمكن من ادارة الصراع بيننا وبــين الصهيونية بطريقة نكون فيها المنتصرين ، لا بد لنا من فهــم طبيعــة ارتباط « اسرائيل » والصهيونية بالراسمالية العالمية ، وآفاقــه وحدوده ، وموقعه في عملية الصراع بين الراسمالية والاشتراكية في العالم ، وايضا فهم موقعنا نحن في العملية المذكورة ، وبالتالي تحديد القوى والمصالح والاسلحة المحلية والدولية التي لها علاقة بهــذا الصراع . وبغير هذه الطريقة لا اجد ان في مقدورنا كسب المعركة ، وتوظيفها بالكامل لصالح قضيتنا .

هوامش البحث

١ ــ د . صادق العظم : دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية ص ٨٨
٢ ــ ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية ص ٤٧
٣ ــ المرجع نفسه : ص ٥٠
٤ ــ المرجع نفسه : ص ٥٨
٥ ــ المرجع نفسه : ص ٦١ ــ ٦٢
٦ ــ المرجع نفسه : ص ٨٦
٧ ــ المرجع نفسه : ص ٨٧
٨ ــ د . صادق العظم : الصهيونية والصراع الطبقي ص ٥٧
٩ ــ المصدر السابق : ص ٩٢
١٠ ــ المرجع نفسه : ص ٩١
١١ ــ المرجع نفسه : ص ١٢١
١٢ ــ العظم : الصهيونية والصراع الطبقي ص ٦١
١٣ ــ المصدر السابق : ص ١٢٦ ــ ١٢٩
١٤ ــ المصدر السابق : ص ٦٩
١٥ ــ د . اسعد رزوق : اسرائيل الكبرى ص ٣٩ ــ ٤٦
١٦ ــ المرجع نفسه : ص ٢٠٤
١٧ ــ العظم : الصهيونية ... ص ٧٠
١٨ ــ د . انيس صايغ : الفكرة الصهيونية ص ٢٧
١٩ ــ المرجع نفسه : ص ٣٦
٢٠ ــ ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية ص ١٩٨
٢١ ــ العظم : دراسات يسارية ص ٩٨
٢٢ ــ العظم : الصهيونية والصراع الطبقي ص ٩٤
٢٣ ــ د . انيس صايغ : الفكرة الصهيونية ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ .
٢٤ ــ المرجع نفسه : ص ٢٢٤
٢٥ ــ المرجع نفسه : ص ٢٢٤
٢٦ ــ انظر ، العظم : الصهيونية ... ص ٩٩ ــ ١٠٤
٢٧ ــ العظم : دراسات ص ٩١
٢٨ ــ المرجع نفسه : ص ٩٦
٢٩ ــ صايغ : الفكرة الصهيونية ... ص ١٠٧
٣٠ ــ المرجع نفسه : ص ١١٢
٣١ ــ العظم : الصهيونية .. ص ١٢٢
٣٢ ــ المرجع السابق : ص ٢٢٠ ــ ٢٢١
٣٣ ــ المرجع السابق : ص ١٤٠
٣٤ ــ العظم : دراسات يسارية ص ٢٢

الحرب العراقية ـ الايرانية

الرفيق : د. ياسين سلمان

توقفت الحرب العراقية الايرانية بعد ثماني سنوات من التدمير والقتل ، وسواء انتهت هذه الحرب ، بنجاح المباحثات السلمية الدائرة الآن في جنيف بين الطرفين الايراني والعراقي على اساس قرار مجلس الامن ٥٩٨ ، او تواصلت بفشلها ، فالنتيجة كما يظهر من موازين القوى والوضع الدولي الراهن ، لن تكون ابعد من تراجع الطرفين الى الحدود الدولية والالتزام باتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ .

ومادامت هذه هي النتيجة ، على صعيد الخلافات القائمة بين البلدين ، وهي النتيجة التي ربما يدركها النظام العراقي قبل غيره ، فلماذا قامت هذه الحرب اذن ؟! انه سؤال طرح وسيطرح بجدية في كل مكان سواء في داخل العراق او في خارجه .

واذا كان قد تأخر طرحه في العراق بعض الشيء ، بفعل المعميات الاعلامية والتشويهات الشوفينية ، فانه لابد ان يطرح ، خاصة بعد ان تصمت المدافع ، ولابد من التوصل الى الاجابة الصحيحة .

نحن من جانبنا ، وبحكم معرفتنا بطبيعة النظام العراقي ، وبخلفية هذه الحرب وحقيقة المخططات الامبريالية الصهيونية الموضوعة للشرق الاوسط ومنطقة الخليج العربي ، عرفنا منذ اليوم الاول ، وربما قبل ان تندلع الحرب ، لماذا هذه الحرب ، ولم يمض وقت قليل على بدايتها حتى كانت تطلق الصرخات من جميع فصائل حركة التحرر العالمي ، محذرة من ان هذه الحرب « امبريالية » بادوات محلية ،وان المستفيد الوحيد منها لن يكون سوى الامبريالية والصهيونية والرجعية المحلية والدولية .

والآن يمكن لاي مراقب ان يجري مقارنة بين تقويمنا المسبق لهذه الحرب وبين النتائج المترتبة عليها ، تلك النتائج التي تجمع عليها جميع المصادر العالمية .

بعد اندلاع الحرب بقليل **قال الرفيق حافظ الاسد ، الامين العام لحزبنا ، في حفل تخريج المظليين من الشبيبة في القطر العربي السوري يوم ١٩٨٠/١١/٩ « .. فالامر ثابت ولا مجال للشك فيه وهو ان لاعلاقة اطلاقا للاماني العربية ايجابيا بهذه الحرب .. »** وتساءل قائلا : « **هل من حق اي عربي ، هل يجوز لاي عربي ان يجعل العرب يخسرون قوة كبيرة عسكريا واقتصاديا وسياسيا كايران ؟ قوة كبيرة مجاورة تقف على حدودنا تقف معنا وتستعد لممارسة النضال بكل اشكاله الى جانبنا ، بما في ذلك النضال المسلح ضد العدوان الاسرائيلي ..؟ »**

وفي رده على المسوغات التي طرحها النظام العراقي لاعلان الحرب على ايران والمتعلقة بالخلافات الحدودية والموقف من اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ **قال الرفيق الامين العام للحزب : لنفرض ان**

هذا الخلاف حاصل ولكن « هل هذا الخلاف ضاغط الى هـذه الدرجة لنفجر حربا تطغى على امورنا الاخرى الهامـة ، بـل اهم قضايانا القومية » ، ثم « هل يجوز أن نعالج صراع الحدود على حساب صراع الوجود ؟ » ثم « اين هي الدولة العربيـة التي ليس لها مشاكل حدود ؟! »

وقال « هذه الحرب ليسـت للمبادىء العربية ، وليسـت للاهداف العربية وليست للمصالح العربية ، ولكنها حرب لغير العرب على المبادىء العربيـة وعلى القيـم العربية وعلى الاهـداف العربية » . وقال : « **كم هو فرح اسرائيل الآن .. العراق البلد العربي العزيز خرج من دائرة الصراع العربي الاسرائيلي لفترة ليست قصيرة** ».

وفي حديثه الى صحيفة الراي العام الكويتية في ١٩٨٠/٢/٦ قال الرفيق الامين العام : « عندما نفكر في مسببات هذه الحرب وايضا الاسلوب الذي بدات به لابد ان نتذكر ان **النظام في العراق بدا الحرب ضد ايران وضد سورية ودول عربية اخرى في وقت واحد ..** » ، واضاف قائلا : « واضح أن التناقض صارخ جدا .. نريد ان نحترم عقولنا ، نريد من الآخرين ان يحترموا عقولنا ، كيف يمكن ان نشن حربا من اجل ان نستعبد ارضا تنازلنا عنها برضانا ومن دون حرب **ووقعنا على هذا التنازل ؟!** »

وفي مناسبة الذكرى التاسعة عشرة لثورة الثامن من آذار في ١٩٨٢/٣/٧ قال الرفيق الامين العام « **ان العرب يفهمون ان هـذه المعركة ليست معركة العراق وليست معركة العرب انها معركـة امريكا ومعركة الصهيونية** » .

اما مصادر حركة التحرر العالمية فقد اكدت من جانبها ان النظام العراقي بـدا الحـرب سـعيا وراء هـدف هـذا النظـام لملء الفراغ الذي احدثـه سقوط شاه ايران ومن اجـل تصـريف ازمته الداخلية والبحث عن مجد مزيف ، ومن اجل اخراج العراق

من المواجهة مع الصهيونية ، وذلك كله بتشجيع الدوائر الامبريالية والرجعية .

وقد تحدثت مصادر كثيرة عن رحلة **برجنسكي ، مستشار الامن القومي الامريكي السابق** ، الى العراق قبل وقت ليس بقصير من بداية الحرب ونصيحته لصدام حسين بالقيام بهذه « **النزهة** » ـ الحرب ، نظرا للاوضاع الداخلية الايرانية المتدنية ، وتاكيد ضمان دعم الولايات المتحدة الامريكية والغرب .. وقالت هذه المصادر انه تم اغراء صدام حسين بزعامة الامة العربية ، على غـرار زعامـة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ومن هنا كان اختراع اسطورة الدفاع عن البوابة الشرقية للامة العربية .

اما في حساب النتائج المترتبـة على هـذه الحرب حتى الآن فهناك شبه اجماع على ان كلفة هذه الحرب بلغت **بحدود /٤٠٠/ مليار دولار ، اي مايعادل ثلث ديون العالم الثالث** ، وانهـا قتلت وجرحت مايقارب المليوني انسان وان عملية اعادة بناء مادمرتـه الحرب تكلف في حـدود **/١٥٠/ مليـار دولار** . وعلـى الصعيـد العراقي : فقد دمـرت هـذه الحرب اقتصـاد العراق وهياكلـه الاساسية ، وجعلته رهينة بيد الغرب ، ولعل مانشرته جريـدة السفير اللبنانية في ١٩٨٨/٨/١١ ينقل صورة صادقة عن الواقـع الاقتصادي العراقي وتوجهاته ، فقد جاء في هـذه الجريدة تحت عنوان « **الاشتراكية في العراق تعيش ايامها الاخيرة** » : ان الحكومة العراقية اعلنت عن بيع /٤٧/ مصنعا وشركة للقطاع الخاص ، وان المؤسسات المتردية غير المرغوب فيها اعلن عن بيعها على شكل اسهم للعاملين فيها . وقالت الجريدة ان العراق كان في عام ١٩٨٠ من اغنى بلدان النفط وان احتياطه النقدي كان بحدود /٢٠/ مليار دولار ،ولكن الحرب نجحت في رفع مديونيته الى /٦٥/ مليار دولار، علما ان مديونية الارجنتين ـ البلد الواسع والذي تعداده اكثر من خمسين مليون نسمة ـ لاتبلغ اكثر من /٥٥/ مليار دولار . وانتهت الجريدة الى القول « **دورة كاملة من عام ١٩٥٨ ، تاريخ الملكيـة ،**

حتى عام ١٩٨٨ وجدت تتويجها في حرب الخليج وتعود الآن مسيرتها الاولى » . ومن جهة اخرى فقد خدمت هذه الحرب عملية تشديد القمع في العراق والمزيد من ضرب القوى الديمقراطية وتقوية الاتجاهات الفاشية في السلطة ، التي كانت محط اهتمام باحثين وندوات كثيرة اكدت خطورة هذا التوجه ، الذي تبرز بعض نتائجه الهمجيه الآن في شمال العراق ، الذي اعلنه النظام العراقي على انه ارض محروقه يحرم فيها الوجود الانساني والحيواني .. والذي وصفته جريدة نيويورك تايمز على انه « مثال كلاسيكي على حرب الابادة » ، هذا الذي دفع انسانا مثل وزير البيئة النمساوي لوصف النظام العراقي بانه **« اكثر الانظمة اجراما في العالم »** .

وعلى الصعيد العربي والاقليمي فقد خرج النظام العراقي نهائيا من دائرة المواجهة مع العدو الصهيوني ، والزمته يوميات الحرب او هو الزم نفسه ـ ولا فرق في ذلك ـ بان يكون طرفا من اطراف كمب ديفيد ، الطرف الذي يعمل بكل ثقله ضد القضية العربية وكما تشاء الدوائر الامبريالية والصهيونية ،ولعل دوره الان في دعم القوات اللبنانية المتصهينة في لبنان يفصح عن دوره اللاحق في القضايا العربية والاقليمية عامة .

ومن المعروف انه لولا الحرب العراقية الايرانية لما تثنى « لاسرائيل » اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ ، ولما امكن شق منظمة التحرير الفلسطينية ،ولما اتيح المجال للاستطالات اليمينية المنحرفة في هذه المنظمة .

وهذه الحرب في عرف العالم اجمع هي التي فكت **الحصار عن نظام كامب ديفيد ، ونشطت المد اليميني الرجعي في المنطقة** ، ولقد سعى الطرف العراقي فيها ابدا الى جعل الصراع العربي الصهيوني امرا من الدرجة الثانية من حيث الاهتمام العربي والدولي .

ويعترف العالم بان هذه الحرب قادت الى تحطيم وحدة اوبك كمظهر من مظاهر تكاتف الدول النامية ، والى السعر المتدني لبرمل النفط .

ولقد فتحت هذه الحرب الباب واسعا امام التدخل الامبريالي في الخليج . وقدمت ذريعة اضافية للولايات المتحدة الامريكية لتكثيف تواجدها العسكري في الخليج العربي والمحيط الهندي ، والحصول على تسهيلات وقواعد عسكرية ، وفرض منطق احلاف جديدة في المنطقة . بل ان هذه الحرب كانت سببا للحشد الحربي المباشر للقوى متعددة الجنسيات الذي بلغ قرابة /٥٠٪ سفينة حربية ، والذي كاد ان يجعل استقلال المنطقة برمتها في خبر كان .

وهذه الحرب كانت سببا في دفع بعض الدول الخليجية المذعورة الى المزيد من الخوف ، وبالتالي الى طلب المزيد من الحماية الامريكية والمزيد من التسلح الذي اكتسح اكثر من ثلثي ميزانياتها وابعدها عن اداء دورها في المواجهة مع العدو الصهيوني .

وكانت هذه الحرب اكبر فرصة ذهبية للكيان الصهيوني منذ انشائه في عام ١٩٤٨ ، الفرصة التي استغلها ايما استغلال لتوسيع الاستيطان والتسلح والقمع والتغلغل الاعلامي والثقافي في وعي الرأي العام العالمي .

كان من المتوقع قبل ان تندلع هذه الحرب ان يسقط نظام كامب ديفيد في مصر ، وان يتزايد التضامن العربي والاسلامي والعالمي ضد الصهيونية ، خاصة بعد القضاء على نظام الشاه في ايران ،وكان من المتوقع ان تتعزز مواقع اليسار وان تضعف مواقع اليمين ، وان يشتد الحصار على المصالح الامبريالية الامريكية في المنطقة .. الخ ولكن هذه الحرب قلبت موازين القوى راسا على عقب ، وهي لذلك سميت باستحقاق **بالحرب الامبريالية ، او تحديدا بالحرب الامريكية .**

موقفنا من هذه الحرب كان قد حدده الرفيق الامين العام للحزب في خطاب ٩ / ١١ / ١٩٨٠ في قوله : **« ومن هنا نراه محزنا للغاية هذا الذي يحدث على الحدود بين العراق وايران ، فالعراق بلد عربي ، شعبنا شعبه ، وشعبه شعبنا ، ابناؤه ابناؤنا ، جيشه**

جيشنا ، مصيره مصيرنا ، هذا هو العراق في جانب ، وفي جانب آخر ايران بلد مجاور للامة العربية قامت به ثورة شعبية اسلامية ، ارتبطت ارتباطا عميقا بقضايا الجماهير ، وبعيدا بقضايا النضال العربي .. وقال .. وفي ايران كان يقوم حكم ديكتاتوري امبراطوري معاد للامة العربية متعاون مع « اسرائيل » يشكل قاعدة عسكرية وسياسية عملاقة في هذه المنطقة تعمل بجد لتنفيذ المخططات الاستراتيجية الامبريالية العالمية .. بعد هذا اليس من حقنا ان نسال لماذا شنت الحرب فجاة على هذه الثورة » .

ولقد حاولت قيادتنا التوسط لايقاف هذه الحرب ، ولكن النظام العراقي ، كما هو معروف ، لم يستجب ، بل انه وصف كل من يتحرك في هذا الاتجاه بأنه عميل ، وفي هذا الصدد نستشهد بحديث الرفيق الامين العام للحزب لجريدة اللوموند الفرنسية في ٢٧ / ٧ / ١٩٨٤ في قوله : « « حاولت التوسط » « وحاول غيري » **« ولكن صدام حسين اجاب بعض الرؤساء العرب الذين ارادوا ان يتوسطوا قائلا لهم ان كل عربي يتوسط لانهاء هذه الحرب هو خائن .. »**

ولكن قطرنا عندما حيل بينه وبين بذل مساعيه لوقف الحرب ، عمل جاهدا من اجل عدم توسيع هذه الحرب .. وقد نجح في ذلك . الرفيق الامين العام في حديثه السالف الى جريدة الراي العام الكويتية قال : « عندما صدرت تصرفات تشير الى امكانية توسيع الحرب سارعنا واجرينا اتصالات مع ايران مؤكدين خطورة توسع الحرب وخطورة الاعتداء على البلدان العربية الاخرى ، واوضحنا لهم ان هذا يعني حربا بينكم وبين العرب وليس بينكم وبين نظام العراق » ، وفي حديثه لمجلة المستقبل ١ / ٥ / ١٩٨٢ قال : **« قلنا لاخواننا في الخليج ان اي بلد من البلدان العربية في الخليج يتعرض لاي اعتداء في اي اتجاه كان سنكون بجانبه دون تردد » .**

اذن فان موقفنا من هذه الحرب لم تكن تمليه العواطف الآنية المباشرة ،ولو كان الامر كذلك لكنا من دون ادنى شك بجانب الاشقاء

العراقيين ، ولكن هذا الموقف املته مسؤوليتنا التاريخية تجاه امتنا العربية ، ورؤيتنا البعيدة لمرامي المخططات الامبريالية التي ارادت ان تقهر ايران وتستعيدها الى حظيرة التبعية ، ولكن ليس بقوتها المباشرة وانما بجهود الامة العربية ، التي كان عليها ان تصب وتتحطم في اتجاه الصديق والتآكل الذاتي .

في حديثه لشبكة التلفزيون الفرنسي في ١٩ / ١١ / ١٩٨٤ قال الرفيق الامين العام للحزب : **« لسنا مع ايران ضد العراق ، ولم نقف منذ البداية مع ايران ضد العراق ، وانما ادنا غزو النظام العراقي لايران منذ البداية ،لاننا راينا في ذلك ضررا جسيما سيلحق بالعراق اولا ، وبايران والامة العربية ثانيا . وراينا منذ البداية ان هذا الغزو ينتظر ، كما خطط له ، ان يخلق للامة العربية عدوا جديدا يوضع مع اسرائيل في مستوى واحد ، وسيقتضي منا هذا توزيع قوانا في جبهة العدو الحقيقي .. »**

وقال الرفيق الامين العام : هذا الموقف ... « يبقى مستقبلا امام العرب اكثر من طريق ، اكثر من نافذة ، اكثر من خيار لمعالجة المشاكل القائمة ، والتي قد تكون قائمة بين ايران وبين بعض العرب او كل العرب ، ولايضعنا امام خيار واحد ، الامر الثاني هذا الموقف يساعد في عدم دفع الثورة الاسلامية في ايران للارتماء في احضان الولايات المتحدة الامريكية ويمنع بالتالي العودة للالتصاق باسرائيل » .

ومن هنا فقد كان ترحيبنا كبيرا بايقاف هذه الحرب وانه ليحدونا الامل في ان تنتهي وان يعم السلام المنطقة ، وان يلتفت العرب الى قضيتهم المركزية ، القضية الفلسطينية ، غير انني كمراقب ، لا اعتقد بان اغراض هذه الحرب قد استنزفت تماما ، ولو ان بعض الشركات التي تطمح الى ادوار واسعة في عملية اعادة البناء اخذت تتحرك وتقدم عروضها على هذا الاساس .

المسؤوليّة والانتماء..

الموقع المتبادل في السياق الاجتماعي والتاريخي الواحد

الرفيق: فايز عز الدين

● ان النظر في حدود المسؤولية ، وعلاقتها بالانتماء ، يصل بالباحث الى تلمس قانون العلاقة بينهما ، ويمكن اذ ذاك أن يتضح ارتباط الظاهرتين في الافق التاريخي والاجتماعي والسياسي الواحد، ويقف الباحث كذلك ، على الكيفية التي تظهر فيها معادلة تبادل الموقع ، بمعنى كيف تظهر مسؤولية المنتمي ، او كيف يتبدى انتماء المناضل المسؤول . فكلتا الظاهرتين تتلاحمان في فعل اجتماعي سياسي واحد . وتمنحان بعضهما بعضا قيم الحركة والصيرورة .

قال الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد :

« لكل امرىء مسؤولية ، ينبغي ان يتحملها بشجاعة وشعور عميق بهذه المسؤولية » .

ويقول علماء التربية الاشتراكيون :

« ان المحور المنطقي للقانون الاخلاقي للفرد الاشتراكي ، يرفض الفرد المنعزل اللامبالي بظواهر مجتمعة » . وعليه فالعلم الاجتماعي يرى ان المقياس الوحيد لتصرف الفرد الاخلاقي ، يجب أن يكون مصالح الجماعة ، وعضو الجماعة ولمثل هذه الاهمية التي تبدو في علاقة المسؤولية بالانتماء ، والعكس فانني سأقدم هذا التصور لحدود هاتين المسألتين المتلاحمتين ، المتلازمتين في الفعل والبناء المادي والانساني .

اولا — رؤية في حدود المسؤولية :

فالوقفة عند المسؤولية لغة : **نجد أنها حال او صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته .**

وفي المفهوم الاخلاقي : هي التزام الشخص بما يصدر عنه قولا وعملا .

وفي البعد القانوني : هي الالتزام باصلاح الخطا الواقع على غيرك طبقا لتشريع .

فالمسؤولية اذن ، **هي موقف اجتماعي اخلاقي سياسي ، يعكس اتجاهات الفرد في الحياة والمجتمع ، ويشير الى آفاق الحركة الاجتماعية التاريخية ، واتجاه تحولاتها .**

والمسؤولية في طابعها الفردي ، او في صورتها الاجتماعية ، تؤكد ان الفرد الاشتراكي يجب ان يخضع تصوراته ، وطموحاته للمصلحة الاجتماعية ، ولا بد له ايضا من تلمس العلاقة المصيرية

بين الفرد والمجتمع او بين الفردي والاجتماعي ، وكلما ادرك ان الاجتماعي في علاقة مصير واحد مع الفردي ، بل في كلية لا تتجزا تبنى اكثر فاكثر طموح الجماعة ، ومصير المجتمع ، ووطد عزمه على النضال الاجتماعي مع الجماعة من اجل الثورة الاجتماعية الاشتراكية كخلاص جماعي للشعب بأسره (١) .

يقول الرفيق المناضل حافظ الاسد :

« ان الظروف القاسية المحيطة بوطننا ، والتحديات التي نواجهها ، والمعركة لا مفر من خوضها ، تحتم على كل منا ان يتحلى باكبر قدر من الشعور بالمسؤولية . وان يكون رائده خدمة مجتمعه وشعبه وامته » (٢) .

وهكذا يؤكد لنا الرفيق الامين العام مسؤولية الفرد التاريخية عن مصير مجتمعه وامته ، مثلما يوضح في العديد من كلماته مسؤولية المجتمع والامة عن الفرد ، فالفرد المسؤول ، والمسؤولية الفردية حالتان مجتمعتان في المناضل البعثي ، وقد ارست دعامتهما التجربة التاريخية للحزب في النضال من اجل الوحدة والحرية والاشتراكية .

ثانيا — المسؤولية بين الفردي ، والاجتماعي :

الفرد في الحقلين الاجتماعي والسياسي ، مسؤول ، ومن النادر ان يخلو الفرد من المسؤولية الا اذا عزل نفسه مصمما عن الحياة في علاقاتها وصيرورتها المستمرة .

فالحياة مسؤولية ، ومن دون المسؤولية لن تستمر الحياة ، ولا يصل المجتمع الى هدفه ، بل تخلو الحياة من معانيها . ومسؤولية الفرد عن المجتمع او مسؤولية المجتمع عن الفرد تجعل من الحياة التزاما ، وكفاحا ، وتمنح الانسان قيم الوجود الحي ، والحركية الاجتماعية ، فيتحقق الشرط الانساني بانسانية اكمل ، وتتقارب ازمنة الوجود بالتواصل المعرفي . والانجاز الحضاري ، وانسنة الطبيعة .

يقول الرفيق الامين العام :

« من اجل معركة التنمية ، من اجل معركة الدفاع ، من اجل اي معركة في الحياة ، في الداخل والخارج ، نحن محتاجون الى ان ينمو الشعور بالمسؤولية » (٣) .

هذا المعنى يجدد رسم صورة الفرد المناضل في اطار الكفاح الاجتماعي من اجل الحركة السياسية والتقدم الاجتماعي . وتتضح اكثر فاكثر ملامح الفرد المسؤول ، والمسؤولية الفردية . فالفرد المسؤول مناضل ملتزم ، مشاعره الاخلاقية والسياسية متنامية ، ووجدانه الجمعي ، ويقظة الضمير الانساني يميزان كل تصرف عنده او سلوك . فالشعور بالمسؤولية هو المعيار الاخلاقي الاهم في علم السلوك الفردي ، والاجتماعي . ونجد ان هذا الشعور بالمسؤولية يحسم قرارات الفرد والمجتمع ، ويعزز حالة تعلم الفرد من المجتمع وتعليمه والعكس ، ويؤكد ايضا انه لايكفي ان نضع ضوابطا واعية وذكية على سلوكنا ، بل لا بد من ان تكون عادات السلوك السليم متأصلة فينا نحن الافراد .

باعتبار ان خلق الوعي امر اسهل بكثير من تنمية العادات السلوكية والاخلاقية . ومعروف كم هو صعب علينا ان ننقل الوعي الاجتماعي ، الى سلوك اجتماعي ، او الوعي الفردي الى سلوك فردي من دون مراقبة .

اذن فالمسؤولية تحكم الصلة بين قضية الفرد وقضية المجتمع ، وتقيم التناغم بين الفرد والمجتمع ليصبح شعار الفرد يربط بين سعادته ومستقبله وسعادة المجتمع ومستقبله .

وتصبح قضية الخلاص الجماعي ، والنصر الجماعي ، والمستقبل الجماعي هي الدافع المستمر لنضال الفرد المسؤول الملتزم . واستنادا الى هذه الحقائق يقوم علم السلوك الاشتراكي بتطوير مشاعر الفرد ،

حتى يتعلم كيفية التوجه نحو القضايا القومية والاجتماعية ، وكيفية المراجعة والتقويم والتخطيط من جديد .

وللوصول الى ذلك نحتاج الى مزيد من الوعي والمعرفة ، ومزيد من القدرة على تنظيم انفسنا وتنظيم المجتمع ، والمزيد من الالتزام الاخلاقي بالمصير العام والمشترك للشعب باسره .

ونحتاج ايضا الى المزيد من التدرب على التصرفات الاخلاقية الثابتة (**اي السلوك الاخلاقي الواعي ، الناضج المستمر غير المعرض للظروف**)(٤) . ففي هذا تكون العلاقة بين الفرد والمجتمع والوطن ، والثورة ، والمستقبل قد اخذت برنامجها العلمي من خلال الحرية والنظام ، والانضباط . فالانضباط مثلا ، هو الذي يعطي الحرية معناها : ((**من لايعمل لاياكل**)) . . (٥) .

وكما تعلمون ، ان **الدساتير البرجوازية** ، تشرع للفرد وكأنه مقطوع الصلة بمجتمعه ، فهو فرد مجرد ويرسمون له حرية زائفة « حرية الاستهلاك ، حرية الاسراف بالاستهلاك ، حرية الكدح اينما يريد حرية البذخ ، حرية النوم ، وحرية المجون ، وحرية الموت من الجوع .... الخ .. » .

بينما **الدساتير الاشتراكية** تحمل الفرد مسؤولية الجهد الخلاق الواعي المبهج ، المتحد مع جهد الآخرين . واستنادا الى هذا نجد ان قواعد السلوك القديمة ، فردية بصورة مطلقة ، ويبدو بارزا فيها لامبالاة الفرد التامة ، تجاه مجتمعه ومصالح الجماعة ، وتحاول حل القضية الاخلاقية في حدود المطامح الفردية الضيقة ، وهذا ما يخضع المعايير الاخلاقية لاهواء الفرد ، ورغباته فقط .

وفي قواعد السلوك القديمة نجد الاعتراف المطلق بترسيخ حق الفرد في الكمال الذاتي ، وصورة هذه النزعة نتلمسها في مجتمعنا من دون عناء كبير .

فهي تارة تظهر في صورة الاحساس المفرط بالكرامة الشخصية ،

والكبرياء الفردي الاعمى القائم على الاعتداد بالكمال الذاتي دون اي ارتباط بمصلحة المجتمع ، وتارة اخرى تظهر في صورة التدلل الفردي ، ذلك المرض يصيب الفرد ذا النزعة الانانية ، فيجعله يضع قطرة من دموعه فوق سعادة الآخرين .

وتاسيسا على ذلك فالسلوكية المشبعة باخلاقيات الاكتناز ، والطمع ، وحب الذات ، تدفع الفرد الى المزيد من النزعة الانانية ، فيخطو كل خطواته بعيدا عن الظواهر الاجتماعية .

ان الكمال الاخلاقي من وجهة نظر علم السلوك يظهر في صورة عادات ، او كنظام للتقاليد الاخلاقية او في صورة منطق اخلاقي اشتراكي رسخته التجربة .

ان علم **التربية الاشتراكية** يرى انه من المستحيل من دون الجماعة المنظمة ان تكون فردا باخلاقيات رفيعة ، ويتمتع بدرجة عالية من الوعي والاحساس بالمسؤولية تجاه المجتمع والوطن والمستقبل ، وكذلك يؤكد انه **ليس المطلوب ان يعرف الفرد مستقبل الوطن ، وانما يجب ان يعيش بكامل احساساته تقدم وطنه ، واعماله ونجاحاته ، وان يعيش حياته الخاصة كجزء لا يتجزء من حاضر ومستقبل المجتمع والوطن** ، وهذا ما يربي في الفرد سيكولوجية عضو الجماعة ، ويجعله يجد مصيره وسعادته الشخصية مرتبطين بمصير المجتمع وسعادته ، فيتضافر المجتمع الاشتراكي ، كقوة اجتماعية واحدة ، حول الهدف العظيم هدف التحرر والديمقراطية.

يقول الرفيق المناضل حافظ الاسد :

((يجب ان يستمر عاليا احساسنا بالمسؤولية الوطنية، وان نتصرف بداب وحرص وغيرة انطلاقا من حقيقة ان كل شيء في هذا الوطن هو ملك لكل فرد منا ، اينما كان موقع ذلك الفرد ومهما يكن عمله ومهنته)) . . (٦) .

ثالثا ـ الانتماء كظاهرة اجتماعية سياسية :

الانتماء فيما هو معروف لدينا هو الانتساب ، انتمى الى ابيه، اي انتسب اليه ، والانتماء بالمدلول السياسي للكلمة ، هـو ارتباط بفكرة، وانتساب الى تنظيمها ، وعمل طوعي بارادة متفانية في مصلحة اهدافها .

واذا حددنا تعريف الانتماء الاجتماعي بأنه الانتساب الى طبقة اجتماعية ، بفعل اصل المنشأ الاجتماعي ليس الا مـن اعتبـار ان الفرد لا يختار طبقته قبل الولادة بل يتمركز فيها بصفة موضوعيـة ولكنه بعد الكبر يمكنه ان يحدد بوعي وارادة اذا كان سيبقى فيها ام لا فان الانتماء السياسي ، له شان مختلف تماما .

فانتماء الاول : ـ اي الاجتماعي ـ هو انتماء طبيعي طبقي .

بينما الثاني : ـ اي السياسي ـ فهو انتمـاء ارادي ثوري ، وظاهرة مكتسبة يشكلها الوعي والارادة والعمل .

جاء في المنطلقات النظرية للحزب ما يلي :

« ان النضال الثوري ، وممارسة المسؤولية السياسية ،ليسا مجرد نوايا حسنة مخلصة تجاه الجماهير ، كما انهما ليسا مجرد قيم اخلاقية فردية تتوافر في المناضلين الحزبيين ، ان مثل هده المزايا ـ رغم ضرورة توافرها في المناضل الحزبي ـ الا انها وحدها ، لاتؤهله لممارسة واعية للديمقراطية داخل الحزب ، كما انها ليست كافيـة لممارسة نضال ثوري ايجابي هدفه تحويل المجتمع » .. (٧) .

فالمنتمون بارادة ثورية هم الطليعة النضالية التي يعتمد عليهـا الحزب ، وهم كذلك الطليعة المناضلة من المناضلين الذين تعتمد عليهم المنظمات الشعبية وورد في المسألة التنظيمية للحزب :

« ... تعتبر مسألة العلاقة بين الحزب الثوري ، وبين الانتماء الطبقي ، مسألة بالغة الاهمية لاعلى الصعيد الايديولوجي فحسب ، وانما على صعيد الواقع العملي ايضا » ... (٨) .

وفي كلمته التاريخيـة امام المـؤتمر العام الثـاني للشبيبـة ـ ١٩٧٦ ـ ، قال الرفيق الامين العام للحزب :

« الطموح العام الى بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد ، هو الذي يحدد هوية المنتمين الى اتحـاد شبيبة الثورة » ... (٩) .

وتأسيسا على هذا نلاحظ ان الانتماء في نوعيـه الاجتماعـي والسياسي ، ضروري للتنظيمات الاجتماعية والسياسية الثوريـة ، وللمنظمات الجماهيرية التي تشكلها الاحزاب الثورية ،مثل حزبنـا العظيم حزب البعث العربي الاشتراكي ، ومنظمته الرديفة اتحـاد شبيبة الثورة .

والانتماء السياسي الثوري له جانبان :

ـ الاول : الاساس النظري للانتماء (اي ان يكون الى فكره ، عقيدة ، ايديولوجية) .

ـ الثاني : الاستعداد النضالي ، وتحمل المسؤوليات الكبيـرة لتحقيق المبادىء والاهداف .

رابعا ـ مسؤولية الانتماء والانتماء المسؤول :

آ ـ اخلاقية المسؤول المنتمي :

بعد هذا السياق نتوصل الى ان الانتماء مسؤوليـة ، والفرد المنتمي الى منظمة شعبية مسؤول عن حمل افكار هـذه المنظمـة ، وايديولوجيتها النظرية ، والنضال الدؤوب من اجل جعـل تصورات هذه المنظمة واقعا اجتماعيا يعيشه الشعب ، ويبنون فيه الـوطن والمستقبل .

فالمناضل المنتمي ، يتحول الى انسان ايديولوجي مسؤول عن ذاته وعن مجتمعه . ينتج ذلك من ان الوعي الفردي عنده ، يشمل في

ذاته محتوى اجتماعيا ، بمعنى ان العالم الخارجي للفرد ، ليس وجوده الشخصي فحسب ، بل هو ايضا وجوده الاجتماعي ، اي انه وجود طبقته التي ينتمي اليها ، ويحمل اهتماماتها ، وهو كذلك الوسط الروحي، والظواهر الفكرية التي تشكل عامل تاثير موضوعي في الوعي الاجتماعي ، والوعي الفردي للانسان ... (١٠) .

ولان الايديولوجية الثورية التي تحملها المنظمة الشعبية ، هي **ايديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي** ، وهي تمثل الشكل الكلي والشمولي من الوعي الاجتماعي السائد ، فانها تثقف أعضاءها وتمكنهم من فهم ديالكتيك العلاقة بين العام والخاص ، ليكتشفوا دورهم التاريخي ، ومسؤوليتهم النضالية كمنتمين الى تنظيم شعبي تربوي سياسي ثوري ، وفي هذا الاكتشاف تبرز خاصية المسؤولية في الانتماء ، وملامح الانتماء في المسؤولية ، على الوجه الذي يجعل المناضل يستعد بكامل طاقته لحمل المسؤولية ، والارتقاء بالاداء النضالي له ، ولمنظمته ، ومجتمعه ، انه يصبح اكثر استعدادا للنضال والتضحية ، ولتقديم ما هو اجتماعي على ما هو شخصي ، وتتغير وفق ذلك منظومته الاخلاقية كاملة وقواعد سلوكه كذلك .

فاخلاقية المسؤول المنتمي او المنتمي المسؤول في المنظمة الشعبية تتصف بالجماعية ، والجماعية هي المضمون الثوري للايديولوجية الاشتراكية ، والاساس الموضوعي للجماعية موجود في علاقة المناضل الثوري بالعمل ، والنضال ، والتضحية ، ونكران الذات ، وفي روح الرفاقية ، والتعاون والتآلف ، والتعاطف ، والصدق الثوري ، والجراة النضالية ، والنقد والنقد الذاتي ، والارتباط بثورية الحقيقة واخلاقيتها ، ومحبة الجماهير ، واعتبارها مصدر الثورة الديمقراطية ، والمنبع الدائم لكل ابداع ، والصانعة الحقيقية للتاريخ ، وملهمة كل حكمة وتجربة .

ب ــ الانتماء وامانة المسؤولية :

في تخريج دورة المظليين الثانية ٩٨٠ ، قال الرفيق الامين العام للحزب :

ايها الشباب والشابات :

انتم بحكم مسؤوليتكم المستقبلية وطنيا وقوميا ، بحكم قوانين الحياة ، بحكم القدرة التي تملكون ، بحكم الطاقة والحيوية التي تملكون ، انتم المسؤولون قبل غيركم عن التصدي لاعداء هذا الوطن ، وعن سحق كل عثرة ، وكل عائق يقف في وجه تقدم ونجاح وانتصار هذا الوطن))(١١).

هكذا يؤكد لنا **الرفيق المناضل حافظ الاسد اخلاقية الانتماء**، وامانة المسؤولية الوطنية والقومية ولم يترك اية فرصة للقاء بنا الا واوضح فيها حاجة الوطن في احرج مراحل تحرره القومي والاجتماعي الى ارتفاع حس المسؤولية عندنا ، وتنمية الشعور بالواجب الوطني والقومي والاجتماعي المقدس ، وهنا يقول :

« فلنتابع الطريق ايها الاخوة والابناء ، بعزم واباء وشرف وامانة ، فمسؤوليتكم هي الاستمرار في كتابة التاريخ المجيد لشعبكم وامتكم ، ولا بد ان تكونوا عند مستوى هذه المسؤولية » ... (١٢) .

ويقول :

« ان بناء الوطن هو مسؤولية الجميع ، وان حماية الوطن هي مسؤولية الجميع ، وان خير الوطن للجميع »(١٣).

هكذا يؤكد القائد العظيم بناء الضمير المشترك ، والوجدان الجمعي ، والمسؤولية الواحدة للجميع .

ويقول :

((ادعو الى ان نجدد العهد بان يبقى الشعور بالمسؤولية

موجهنا ، والعمل الجاد رائدنا ، وعزة الوطن هدفنا ، وان تبقى سورية طليعة مواقف الشرف والاباء ، وشمعة تنير الطريق أمام الامة العربية » ... (١٤) .

وبمقدار ما راينا أن الانتماء مسؤولية نضالية يحملها المناضل ــ بطبيعة الحال الانتماء الثوري ــ فانه كذلك يربي الفرد على حمل المسؤولية ، ونمو الشعور بالواجب .

فالانتماء الارادي الثوري هوبداية التحول الكيفي لدى المناضل ليصبح مناضلا في صفوف الحزب والمنظمة الشعبية حاملا للمسؤولية، امينا عليها ، واذ ذاك سنعيش حالة مثلى من وحدة الموقف والارادة ، والتركيب الاجتماعي والسياسي ، بما يحقق اهدافنا بأقصر الطرق ، واقصر الزمن .

ان التجسيد العملي لافكار **الرفيق الامين العام للحزب حول القيادة والمسؤولية ، هو ثروة بحد ذاتها** يصنعها الرفاق المناضلون ، في انفسهم اولا ، وفي المجتمع ثانيا، ومن الواجب أن يؤسس المناضلون علم السلوك النضالي والاخلاقي لديهم على حكمة التجربة الفنية للرفيق القائد ، فهم بذلك يؤكدون جوهر الانتماء الثوري للبعث وقائده العظيم ، مثلما يؤكدون انهم حملة المسؤولية الوطنية والقومية ، الامناء على قضايا الجماهير ، وعلى ثورة الجماهير الشعبية الديمقراطية ، وانهم صناع تاريخ بوعي وشجاعة ومبادىء .

الهوامش والمراجع

١ ــ كوفالوف في علم النفس الاجتماعي ــ ترجمة نزار عيون السود ــ تدقيق د . خضر زكريا — ص ١٢

٢ ــ كذلك قال الاسد ــ اختارها وقدم لها العماد طلاس — ص ٥٩٦

٣ ــ كذلك قال الاسد — ص ٥٩٨

٤ ــ مكارنكو الجماعة وتكوين الشخصية — ص ٢٩

٥ ــ مكارنكو المصدر نفسه — ص ٤٤

٦ ــ الكلمة التاريخية للرفيق المناضل حافظ الاسد في الذكرى ــ ٢٥ ــ لثورة الثامن من آذار ١٩٨٨ .

٧ ــ بعض المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي — ص ٥٨

٨ ــ المسالة التنظيمية للحزب ــ كراس صادر عن القيادة القومية — ص ٩٩

٩ ــ كراس القائد والشباب صادر عن اتحاد شبيبة الثورة — ص ٣٧

١٠ ــ قومينا ــ الوعي الاجتماعي وقوانين تطوره — ص ٢٥

١١ ــ القائد والشباب ــ المصدر السابق — ص ١٠٢

١٢ ــ كذلك قال الاسد ــ المصدر السابق — ص ٦٠٩

١٣ ــ كذلك قال الاسد ــ المصدر السابق — ص ٦٠٥

١٤ ــ كذلك قال الاسد ــ المصدر السابق — ص ٦٠١

● **مصادر تم الاطلاع عليها :**

١ ــ المسالة التثقيفية للحزب ــ صادر عن القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي .

٢ ــ دراسات فكرية ــ صادرة عن القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي .

٣ ــ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع د . عبد الباسط عبد المعطي سلسلة عالم المعرفة .

٤ ــ المعجم الفلسفي المختصر .

٥ ــ التربية العامة د . انطون رحمة .

٦ ــ حول مشكلات الثورة والثقافة في العالم الثالث د . طيب تيزيني .

٧ ــ دور الفرد في التاريخ ــ بليخانوف .

على هامش قمة تورنتو للدول الصناعية الرأسمالية

قضايا وآفاق التنسيق الجماعي في العالم الرأسمالي..

الرفيق : د . مهدي دخل الله

اولا ـ مقدمة الانتظام ... رتابة ام تطور جدلي

يبدو ان من اهم مانجحت به مؤسسة « قمة الدول الصناعية الراسمالية السبع » في الاربعة عشر عاما الماضية ، هو انها حافظت على دوريتها وانعقادها في الوقت المحدد كل عام دون تاخير ...

وهذا النجاح لايقتصر على النواحي الاجرائية كما يبدو لاول وهلة ،**وانما يتعدى ذلك ليدخل في اطار المؤشرات السياسية ، والمضمونية ، مما يعطيه اهمية لايحق لباحث تجاهلها ..**

فمن المعروف انه في خضم العلاقات الدولية المتناقضة والمعقدة اليوم ، كل نجاح في عقد مؤتمر ما ، وخاصة اذا كان على مستوى القمة ، يعتبر في حد ذاته مؤشرا سياسيا مهما ، ودليلا على مدى انسجامية المشاركين الاولية والمبدئية وتوافقهم في الاراء ، او ، على الاقل ، استعدادهم الكبير للتوصل الى التوافق ..

ولدورية القمة وانضباطها الزمني مضامين اخرى لاتقل اهمية عما ذكرناه . **فان مجرد استمرارية الاستعداد للتوصل الى التوافق ، تعتبر مؤشرا واضحا على وجود تطور تراكمي في عملية التوافق نفسها .** فالتوافق اللاحق بالضرورة ، هو توافق ارقى ، والعملية التوافقية في استمراريتها تكون عملية متنامية ، تطورية بالضرورة .. لذلك فانه لابد من الاعتراف بأن التوافق الذي تم التوصل اليه في قمة تورنتو الاخيرة هو توافق يتعلق بموضوعات ومضامين اكثر تطورا من مضامين القمم السابقة .. وبعبارة افصح، ان المضمون التوافقي في تورنتو يعتبر مرحلة متطورة لما تم التوصل اليه في القمم السابقة . والدليل الصوري على ذلك ان روح التوافق مازالت مستمرة . فالتوافق اما ان يتطور او ينهار ، فاذا لم ينهر فانه يتطور بالضرورة .

هذه ليست قراءة صورية ، مجردة ،للواقع . انها على العكس من ذلك ترجمة تحليلية للتطورات ، مبنية ، لا على معرفة اسس وقواعد المنطق الصوري ، وانما على معرفة طبيعة العلاقات السياسية الدولية المعاصرة ..

لكن هذه الترجمة التحليلية يجب ان تبقى منيعة عما قد يستنتج منها من استنتاجات صورية . فهذه الترجمة لا تعني ان (العظماء الراسماليين السبعة) اصبحوا في تورنتو اكثر استعداد للتوافق مما كانوا عليه في رامبويه (القمة الاولى) قبل اربعة عشر عاما مثلا .. ان المقصود هنا بالتطور التوافقي هو ان مضمون التوافق ، اي المواضيع التي تطرح نفسها مادة للتوافق وموضوعا له ، هي اكثر اتساعا . وعمقا ، من تلك التي طرحت على بساط النقاش في المؤتمرات السابقة . وبعبارة ادق ، قد لاتكون القضايا مختلفة تماما ، لكن التوافق اللاحق يكون اكثر تخصيصا ودقة وتفصيلا من التوافق السابق بخصوص القضايا نفسها .

هذه الدينامية في عملية التوافق بين ابطال الامبريالية العالمية وفرسانها السبعة ترفض ، بمنطقيتها ، اية وضعية ستاتية . لكن هذا الاقرار لا يعني تفسيرا ميكانيكيا للدينامية في عملية التوافق ،

لان الميكانيكية تنفي عن الدينامية جدليتها وتجعلها حبيسة التفاقم الرتيب في الحركة ، وتلغي كل ما من شانه ان يظهر تاثير التحولات النوعية في مراحل الطفرات المشروطة بتغير في الوسط الدولي والمحددة بتحول في المناخ العالمي .

ان الدينامية الرتيبة غير موجودة اصلا في العلاقات الدولية . وهي اذا ماوجدت فستبقى سجينه رؤوس بعض المحللين ونزعاتهم التجريدية والصورية. وبالمقابل فانالجدلية تضع الدينامية في سياقها الصحيح ونسقها الفعلي ، لان الجدلية ، على عكس الرتابة ، لاتقبل بمفهوم الحركية المتوازنة ، والمتزنة ، بل تعتمد مفهوم الحركية ذات المسار متنوع الحدة ، منطلقا لمجمل تفحصها للواقع المركب ودراسته .

وعليه ، فان اعترافنا بتطور مضمون التوافق وارتقائه في (اسرة السبعة) ، وان قناعتنا من ان مجرد الانتظام في عقد القمم في وقتها المحدد لهو احد الادلة القوية على هذا التطور .. ان اعترافنا هذا وقناعتنا تلك ، يجب ان تقترنا اقترانا لازما بايماننا بأن القمم الاربع عشرة لاتخضع للتقويم نفسه ، ولا تتساوى في الاهمية ، وبالتالي لاتعطي التاثيرات نفسها ، وانما هناك قمم سجلت تطورا نوعيا ، طفريا ، في اطار النسق الكلي المتكامل لمسيرة العلاقات بين « الراسماليين السبعة » الذين يتحكمون ، بشكل او باخر ، بمصائر عالمنا بكامله ، وقمم اخرى كانت اكثر تواضعا ومحدودية .

ثانيا ـ تاثير التطورات النوعية في المناخ الدولي على القمة

ماهو الشيء الذي يجعل حدثا سياسيا معينا ، او اجتماعا دوليا ما ، اكثر اهمية من غيره ؟

لابد ان هناك مجموعة من العوامل تؤثر في الحدث وفي نتائجه . وبالضرورة ، كلما كان المشاركون في الحدث اكثر مسؤولية في هرم السلطة ، كان تاثير العوامل المتغيرة اكثر حدة . هذا

لا ينبع من فعالية العوامل نفسها بل من مستوى المشاركين في الحدث السياسي المعني بالذات . وعلى سبيل المثال ، اذا انعقد مؤتمران دوليان ضمن ظروف سياسية واقتصادية واحدة ، اي ضمن اطر تاثير مجموعة واحدة من العوامل ، وكان احدهما مؤتمر قمة والثاني مؤتمر وزراء خارجية الدول نفسها ، فان مجموعة العوامل نفسها ستعطي تاثيرا اكبر في السياسة الدولية عبر مؤتمر القمة المعني من تلك التي ستعطيها عبر مؤتمر وزراء الخارجية .. وهذا كله يعني ، بالمنطق نفسه ، ان مستوى المشاركين في الحدث السياسي ، اذ يتاثر بمجموعة العوامل السائدة وحدة تاثيرها ، يعطي نتائج تاثيرية تتناسب حدتها طردا مع مستوى المشاركين نفسه لا مع حدة العوامل المسيطرة والتي تشكل مجتمعة المناخ الذي انعقد في اطره الاجتماع ..

وفي اطار هذا التحليل يمكن تقويم نتائج قمة تورنتو بين الدول الراسمالية الصناعية السبع (١) ، ويمكن كذلك توقع التوجهات اللاحقة والممارسات التي ستصدر في اطار (نادي السبعة) والتي ستؤثر في تطورات الوضع الاقتصادي والسياسي في العالم .

ولكن ، لابد قبل ذلك من تحديد ما اتفقنا على تسميته بمجموعة العوامل المؤثرة وتطوراتها الجديدة ، والتي تشكل مجتمعة المناخ الذي انعقدت في اطاره القمة .

٢ ـ ١ ـ التطورات في العلاقات السياسية الدولية :

التطور النوعي الهائل والقاعدي هو ماتنج عن قمتي واشنطن وموسكو بين الامين العام للجنة المركزية ح‌ش‌س ـ غورباتشيف ، ورئيس الولايات المتحدة ـ ريغان ...

نتائج القمتين ، وبالاخص قمة واشنطن ، تمثل تحولا نوعيا

(١) ـ قمة تورنتو (١٨ ـ ٢١ حزيران) ضمت اضافة الى الولايات المتحدة ، كندا واليابان وبريطانيا والمانيا وفرنسا وايطاليا

في العلاقات السياسية الدولية وتطورا جديدا لم يتم مثله في التاريخ المعاصر على الاطلاق . ان الامر لا يقتصر على توقيع اتفاق معين بين الدولتين العظميين ، فلقد شهدت فترة مابعد الحرب العالمية الثانية توقيع العديد من الاتفاقات بينهما . والامر لا يقتصر كذلك على انها حالة التوتر وتوطيد وضع اكثر انفراجا ، فلقد مرت فترات ساد فيها نوع من الانفراج ، بل من التعاون ، بين موسكو وواشنطن . . . الامر يتعلق ببوادر انهاء الحرب الباردة كلية وبتوطيد السمة الاستمرارية لما حدث في الاشهر السبعة الاخيرة . . . الامر يتعلق بفتح الباب على مصراعيه امام ظهور نمط جديد للعلاقات الدولية تضطر فيه القوى الامبريالية الى الرقص على موسيقى تعزفها قوى السلام والتقدم في العالم . وهذا الاقرار لايعني التفاؤل المفرط ، لاننا نعي ان طبيعة القوى الامبريالية واطماعها ومصالحها ستؤدي الى فعل كل ما امكن لاعادة جو الحرب الباردة ، ولتعريض العالم والبشرية برمتها للخطر مرة اخرى . ومن جهة اخرى يبدو ان التحولات الجديدة في العلاقات الدولية لم تؤد بعد الى جعل قضايا تحرر الشعوب واستقلالها اسهل واقرب الى الحل ، كما ان الامبريالية والصهيونية والعنصرية لم تعط اية بادرة ، بعد القمتين، على انها ستتخلى عن عدوانيتها وتوسعيتها واستغلالها للشعوب . بل مازالت هذه القوى تتمادى في اساليبها وممارساتها وسياساتها وايديولوجياتها نفسها دون تغير يذكر . لذا فان خوف الشعوب المناضلة من ان يكون الانفراج على حساب نضالها ومصالحها ، او ان يتم تخفيف حدة التوتر العالمي من خلف ظهرها وعلى اساس الاستخفاف بقضاياها والتعامي عنها ، هو بالتأكيد خوف مسوّغ . .

المهم في الامر ، ان الانفراج بعد قمتي واشنطن وموسكو القى بظلاله الكثيفة على قمة تورنتو . وهذا الحضور المهم للانفراج بين الشرق والغرب ادى الى اختفاء قضايا معينة كانت تشغل بال السبعة في اجتماعاتهم السابقة ، وظهور قضايا اخرى ، جديدة ، سنتعرض لها في حينها .

٢ ـ ٢ ـ التطورات في المجال الاقتصادي :

على الرغم من أن وضع الاقتصادات النامية ازداد سوءا ، الا انه ظهرت في الاونة الاخيرة تغيرات ايجابية الى حد ما في اقتصادات الدول الصناعية ، وبالتالي في مجمل العلاقات الاقتصادية الدولية . فعدا عن انتهاء ذيول وآثار ازمة البورصات التي ظهرت في الخريف الماضي ، وعدا عن الاستمرار في انخفاض سعر النفط ، الانخفاض الذي يؤدي الى انتعاش الصناعة في العالم الراسمالي بسبب الطاقة الرخيصة كمدخل اساسي في العملية الانتاجية ، سجلت الدول الصناعية السبع المؤتمرة نموا اقتصاديا ملحوظا في العام السابق ، بلغت وتيرته نحو ٣٪ في اوروبا وامريكا و ٥٪ في اليابان كما تشير الاحصائيات ، اضافة الى ان حجم التجارة الدولية ازداد ٦٪ تقريبا عما كان عليه عام ١٩٨٦ .

ثالثا ـ كيف عالجت القمة القضايا المطروحة :

تمثل الدول السبع المجتمعة ١٢٪ من عدد سكان العالم فقط لكنها تشارك في ٦٠٪ من الاقتصاد العالمي . . وهذا الحضور الهائل في الاقتصاد العالمي ليس كميا فقط ، بل ان هذه الدول تسيطر تقريبا على غالبية القنوات الرئيسية المؤثرة في هذا الاقتصاد ،وتحتل الدور المؤثر في نظام تقسيم العمل الدولي ، النظام الذي مازالت البنية الامبريالية تحدده . لهذه الاسباب فان اجتماع القمة بين الدول السبع لايمكن بحال من الاحوال ان يقتصر على التعاون الجماعي بين هذه الدول ، بل ان كل اتفاق بينها لابد وان يؤثر تأثيرا قويا في الوضع السياسي والاقتصادي الدولي ، اي انه يخلق مناخا دوليا معينا يحدد ، بدوره ، ظروفا تؤثر في تلك الدول التي لم تحضر الاجتماع ولم تشارك به ، ولم تسأل عن رايها فيما توصلت اليه القمة من توافق او اتفاق . لقد اصبح هذا الوضع واضحا لدرجة اننا نستطيع القول **انه كلما تعاظمت اهمية اي دول مؤتمرة ، صعب ايجاد الخط الفاصل بين القضايا التي تهم**

المؤتمرين وحدهم وبين تلك القضايا التي تهم العالم بأجمعه .
قد لا نأبه احد باتفاق يتم بين دولتين صغيرتين متخلفتين ، لكن العالم كله يقف على قدميه متأهبا لمعرفة مايحدث عندما يجتمع الزعيم السوفيتي بالرئيس الامريكي مثلا . وهذا الاهتمام لاينبع من طبيعة القضايا المطروحة بقدر ماهو نتاج لدور الدول المؤتمره وموقعها وتأثيرها في السياسة الدولية والاقتصاد العالمي . مثل هذا الاقرار ليس قليل الاهمية ، لانه يعني ان الدول العظمى ليس لها علاقات ثنائية أو جماعية خاصة لاتهم احد غيرها ، بل في كثير من الاحيان يهتم العالم اي اهتمام بقضايا تبدو لاول وهلة قضايا داخلية خاصة للدولة العظمى . قد لايهتم الكثيرون بانتخابات الرئاسة في دولة صغيرة فقيرة ، لكن الاهتمام الدولي بانتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة (وهو امر داخلي بحت) يفوق كل تصور . الشيء نفسه ينطبق على البيروسترويكا مثلا ، وعلى امور اخرى كثيرة ..

ان دراسة اعمال مؤتمر (السبعة) لا تسمح لنا باعتماد منهج التفريق بين القضايا الجماعية والقضايا الدولية سبيلا في البحث . اننا نكاد لا نستطيع التعرف على تلك القضايا التي يمكن ، بطبيعتها وبمضامينها ، ان تدخل في حيز القضايا الجماعية الخاصة . لذا فاننا نعتمد منهج التفريق بين القضايا السياسية والقضايا الاقتصادية مع منطلق منهجي عام يتضمن ان كل ماتم طرحه في القمة يمثل اهتماما دوليا بشكل او بآخر ..

٣ ـ ١ ـ القضايا السياسية :

اهم ماطرح في هذا المجال يتضمن اربع مجموعات من القضايا هي : العلاقات بين الشرق والغرب ـ الارهاب ـ الخليج والشرق الاوسط ـ قضية المخدرات .

٣ ـ ١ ـ ١ ـ العلاقات بين الشرق والغرب :

طبيعة القضية : معروفة هي الابعاد الايديولوجية والسياسية والعسكرية للعلاقات بين (الشرق) و (الغرب) . لكن ، وكما

اسلفنا ، حصل في الاونة الاخيرة تطور نوعي في نسق هذه العلاقات . اقصد توقيع معاهدة نزع الصواريخ النووية متوسطة المدى وقصيرته .. والجديد في الامر ، انه في هذه المرحلة كان الوفاق العسكري (معاهدة نزع الصواريخ) سببا لبدء في عملية الانفراج السياسي بين الدولتين العظميين ، بينما كان الوضع مقلوبا في فترات الانفراج السابقة ، حيث كان المناخ السياسي الايجابي هو السبب ، وكانت الاتفاقات في اطار تحديد التسلح ونزع السلاح هي النتيجة ..

وبالنسبة للتحالف الغربي ، كانت القضية تكمن في امرين :

١ ـ الادعاء بأن (التسلح النووي) هو وحده الكفيل بحفظ السلام (٢) ... وهو مبدا (الردع النووي) ...

٢ ـ الادعاء بأن الاتحاد السوفيتي متفوق بالاسلحة النووية . (مبدا الركض وراء التوازن) .

مبدا (الردع النووي) كان يعني ربط مفهوم السلم بمفهوم التسلح ، فاذا اردت السلام ، عليك أن تضاعف ترسانتك العسكرية كما ونوعا ...

مبدا (الركض وراء التوازن) كان يعني ان اتفاقات تحديد الاسلحة تتم على مستوى اعلى من التسلح بالضرورة (نزع سباق التسلح) ...

وهكذا سادت في الغرب (حمى التسلح) كموجه اساسي وقاعدي ... في الجانب السوفيتي ، سيطر مبدأ (ربط السلام بنزع السلاح) مما ادى الى ظهور توجه نحو (التوازن عند مستويات ادنى من التسلح) ... **وهكذا المبدا القاعدي والتوجه الاساسي للسياسة السوفيتية قديم ولم يظهر مع المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ـ كما يخيل لبعضهم . ان القيادة**

---

(٢) في زيارتها الاخيرة لموسكو عبرت تاتشر بصراحة ايمانها بمبدا الردع النووي ككفالة اكيدة للسلام ...

السوفييتية الجديدة قامت بتأكيد هذا التوجه والالحاح عليه واتباع آليات جديدة في تحقيقه ... ليس الا .

القضية في القمة : من الواضح ان اتفاق (ازالة الصواريخ) يعتبر في جوهره اعترافا بالمبدا السوفيتي القائل (بالتوازن عند المستويات الدنيا للتسلح) ، لكن الغرب بطبيعته الامبريالية لايزال يتمسك بالمفهوم نفسه ، مفهوم (التسلح ككفيل للسلام) ... كيف حلت قمة تورنتو هذه المعضلة ؟ ..

نقرا في البيان السياسي للقمة :

« لقد اكدنا اقتناعنا بأن تعاونا وحوارا بناء وواقعيا بما في ذلك في ما يتعلق بالرقابة على الاسلحة وحقوق الانسان والمسائل الاقليمية يشكلان الوسيلة لتدعيم الاستقرار بين الشرق والغرب **وتعزيز الامن عند مستويات ادنى من التسلح** . واكدنا كذلك مرة اخرى انه في مستقبل منظور **سيكون الردع النووي ووجود قوات تقليدية ملائمة ضمانين للسلام والحرية » ....**

واضح هو المضمون التوفيقي لهذا النص ... فالمفهوم القديم تأكد مرة اخرى في الجملة الاخيرة (مفهوم الردع النووي كضمانة للسلام) . لكن الجديد كل الجدة هو ان **البيان السياسي هذا هو الوثيقة الاولى من نوعها في الغرب التي تعترف بمبدا (تعزيز الامن عند مستويات ادنى من التسلح) ..** معاني اخرى تظهر من هذا النص لا تسمح لنا هذه العجالة بالدخول فيها ، لكن المهم في الامر ان النص هو تعبير واضح عن (الاخلاقية الثنائية) التي تسيطر في الغرب ، والتوتر المعنوي الواضح بين مبدا تعمل الدبلوماسية السوفييتية بجد على فرضه (مبدا التوازن عند المستويات الدنيا) ومبدا تكافح القوى الامبريالية للابقاء عليه (مبدا الردع النووي) ..

٣ ـ ١ ـ ٢ ـ الارهاب :

ـ طبيعة القضية : ليس الارهاب قضية فنية ، بل ظاهرة

سياسية بحته . وعلى الرغم من الجهود السورية الجبارة والمقترحات البناءة في هذا الصدد الا ان العالم مازال غير مستعد للاستجابة للنداء السوري الملح بتحديد الارهاب والاتفاق على طرق مكافحته والتفريق بينه وبين الكفاح المسلح للشعوب . وعلى اية حال ، فان سورية بامكانها ان تكون مرتاحة لان جهودها اثمرت في الدورة الاخيرة للامم المتحدة ، وما كان يمكن التوصل الى افضل مما تم التوصل اليه في الظروف السياسية الدولية الراهنة ..

وبالنسبة للارهاب فان المناخ الذي عقدت فيه قمة تورنتو يختلف كلية عن ذلك الذي احاط بقمة طوكيو قبل عامين ، حيث حاولت الولايات المتحدة تسويغ ضربتها الارهابية لليبيا والادعاء بأنها عملية مكافحة للارهاب ...

الجديد انه في الاونة الاخيرة لاتستطيع حتى الولايات المتحدة ايجاد ذلك القدر من الفظاظة لاتهام العرب بالارهاب . على العكس لقد شهد العالم كله في الاونة الاخيرة مدى تعرض العرب للارهاب (القمع الوحشي في الاراضي المحتلة ، ضرب تونس واغتيال ابي جهاد ، خطف الطائرة الكويتية ... الخ) ...

وقضية الارهاب قضية شائكة ومعقدة وتثير مشاكل حتى بين الدول الراسمالية نفسها . وتكتسب القضية حساسية خاصة في العلاقات البريطانية ـ الامريكية بسبب القضية الايرلندية ونزاع البروتستانت والكاثوليك .

القضية في القمة : للاسباب المدرجة في اعلاه ، اكتفى البيان السياسي بملاحظات قصيرة وعامة حول الارهاب . ولم يذكر ولو بحرف واحد ممارسات (اسرائيل) وارهابيتها ... بل اكتفى بذكر مأساة الطائرة الكورية (كادانة ضمنية للاتحاد السوفيتي) وخطف الطائرة الكويتية (في محاولة على مايبدو لاعادة العرب الى الاذهان) ...

٣ ـ ١ ـ ٣ ـ الشرق الاوسط والخليج :

ـ الشرق الاوسط : اكد البيان السياسي ما يلي :

١ ـ العنف الحالي دليل على ان الوضع الراهن لايمكن ان يستمر .

٢ ـ من الضرورة حل جوهر الصراع العربي ـ الاسرائيلي على طريق المفاوضات .

٣ ـ تأييد فكرة عقد مؤتمر دولي ذي هيكل مناسب بوصفه اطار العمل الملائم للمفاوضات الضرورية بين الاطراف المعنية بصورة مباشرة ..

٤ ـ الاشادة بمبادرة شولتز ..

واضح هو الحضور الامريكي القوي خلف هذه اللهجة ، فالعنف قد تم ذكره بشكل عام دون تحديد مصدره ، والمؤتمر الدولي هو اطار المفاوضات المباشرة ، هذا اضافة الى الاشادة بمبادرة شولتز ..

لكن النص يتضمن نواح ظهر فيه التأثير الاوروبي ، الفرنسي بشكل خاص ، فهناك مثلا تأكيد ان الوضع الحالي في الاراضي المحتلة لايمكن ان يستمر وفي هذا ادانة ضمنية لهذا الوضع . كما انه ورد التركيز على **جوهر** الصراع العربي الاسرائيلي وفي هذا تأكيد ، غير مقصود طبعا ، لقومية هذا الصراع .. كما ان الولايات المتحدة اكدت في البند الثالث ، وبشكل صريح ، موافقتها على فكرة المؤتمر الدولي ، وهو ما كانت تتهرب منه في السابق ...

الخليج : اعادة تأكيد القرار (٥٩٨) وصفته الالزامية ، والاعلان عن عزم المؤتمرين على ضمان تنفيذ هذا القرار على طريق قرار يتبعه . وفي هذا تلميح واضح الى عزم الدول السبع على دعم مشروع قرار في مجلس الامن حول فرض حظر بيع الاسلحة الى الجهة التي لا تلتزم بالقرار (٥٩٨) ويقصد بها ايران ..

٣ ـ ١ ـ ٤ ـ المخدرات :

طبيعة القضية : لماذا المخدرات هذه المرة ؟ .. وهل هي مشكلة سياسية ؟ . . لقد تعودت الولايات المتحدة على طرح القضايا التي تهمها وبالشكل الذي يهمها . . . قضية المخدرات تعني ، ضمنا ، محاولة كسب الدعم الاوروبي لموقف الولايات

المتحدة تجاه ما يسمى بقضية نوريغا . . اذا هرب الاوروبيون من الباب يجب ادخالهم من الشباك ، والاوروبيون ، كما تعتقد الولايات المتحدة ، لا يحق لهم التدخل في شؤون امريكا اللاتينية (مزرعة الولايات المتحدة التقليدية) الا اذا دعموا السياسة الامريكية فيها مئة بالمئة ..

القضية في القمة : حصلت الولايات المتحدة على ما توقعته ، حيث اكد المؤتمرون ، مع تحفظ فرنسا ، على دعم مبادرة حكومة الولايات المتحدة الرامية الى تشكيل مجموعة خاصة لتنسيق التعاون في مجال مكافحة المخدرات ..

٣ ـ ٢ ـ القضايا الاقتصادية :

عموما ، وبسبب الانفراج الذي حدث في المناخ السياسي الدولي العام وانخفاض الاهتمام بقضايا الارهاب وغيره ، وكذلك بسبب التحسن الطفيف الذي طرأ على الاداء الاقتصادي في الدول المتقدمة ، فان القضايا الاقتصادية ، ولاول مرة بعد قمة رامبويه ، استحوذت على القسم الاكبر من اهتمام المؤتمرين وجهودهم ...

هناك ثلاث مجموعات من القضايا الاقتصادية بحثت في القمة وتشكل مجتمعة اهم ما يستحوذ على اهتمام الدول السبع في مجال العلاقات الاقتصادية الجماعية والدولية .. هذه المجموعات هي :

قضايا الزراعة ـ قضايا النقد ـ قضايا ديون الدول النامية ..

٣ ـ ٢ ـ ١ ـ القضية الزراعية :

طبيعة القضية : القضية تتلخص في طبيعة الدعم الذي تقدمه الدول لقطاعها الزراعي وتأثير هذا الدعم في العلاقات التجارية . وتقدم غالبية الدول الاوروبية دعما معينا لصادراتها من المواد الزراعية لكي تقف على قدميها في سوق المنافسة مع البضائع الامريكية وبضائع الدول النامية على حد سواء . ولقد ازداد الوضع سوءا بسبب الجفاف الذي اصاب الولايات المتحدة الامريكية ، كما ان الانفراج مع الاتحاد السوفييتي سيخلق سباقا وتنافسا بين اوروبا وامريكا على تصدير القمح الى السوق السوفييتية الواسعة ، سيما وان اوروبا وامريكا تعانيان من فائض مزمن في

كميات القمح ، اضافة الى ان اوروبا تبحث عن اسواق لتصدير الفائض الهائل من الزبدة ومنتجات الحليب الاخرى ..

القضية في القمة :

ـ الموقف الامريكي ـ الكندي : ضرورة الالتزام التزاما واضحا وصريحا بالغاء جميع انواع الدعم تدريجيا حتى عام (٢٠٠٠) . . . ودوافع مثل هذا الموقف حماية القدرة التنافسية للصادرات الامريكية والكندية من المواد الزراعية ..

ـ الموقف الاوروبي والياباني : المحافظة على الدعم . والدافع الاوروبي هو توطيد قدرة المنافسة لصادراتها الزراعية امام الصادرات الامريكية ـ الكندية القابلة للتوسع . اما الدافع الياباني فهو الاستفادة من واقع التنافس للحصول ، كمستورد للاغذية ، على افضل الشروط ..

ولقد ربح الاوروبيون الجولة ، حيث اكتفى البيان الاقتصادي بالاشارة الى اهمية تخفيض الدعم دون طلب الغائه ، وقرر المؤتمرون احالة الملف الى مؤتمر الجات (الاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية) الذي سيعقد في مونتريال في كانون اول المقبل ..

٣ ـ ٢ ـ ٢ ـ قضية العلاقات النقدية :

طبيعة القضية : بسبب سيطرتها على القنوات النقدية الدولية ، تستطيع الولايات المتحدة ، عبر التلاعب باسعار عملتها ، التأثير كلية في مجرى العلاقات الاقتصادية الدولية ، بل وفي العملية الاقتصادية عند حليفاتها السبع . ولقد وجد الاوروبيون انفسهم في موقع صعب بسبب التذبذب المستمر في سعر صرف الدولار ، لان اي انخفاض او ارتفاع في سعر الدولار مقابل العملات الاخرى سيؤدي الى عرقلة النسق الطبيعي للنمو في الدول الاخرى .

ـ ارتفاع سعر الدولار : معناه اصدار قوة جاذبة تؤثر في ما يسمى بالمال الحار HOT MONEY وحرمان الدول الاوروبية منه ...

ـ انخفاض سعر الدولار : معناه انخفاض اسعار البضائع

الامريكية في السوق الدولية وارتفاع قدرتها التنافسية مما قد يؤدي الى الكساد في الصناعات الاوروبية ...

المشكلة ليست في الارتفاع او الانخفاض بحد ذاته ، لان الدول الاوروبية قادرة على مواجهة هذا او ذاك ضمن خطة طويلة الامد . لكن المشكلة تكمن في التذبذب اي في التقلب السريع لسعر الدولار مما يجعل مجابهة الوضع مستحيلة . لذلك فلقد ابدى الاوروبيون رغبة أكيدة للتعاون في مجال تثبيت سعر الدولار . لكن البيان الختامي ترك الموضوع مبهما ولم يشر عند اي مستوى سيكون هذا التحديد ..

٣ ـ ٢ ـ ٣ ـ قضية مديونية الدول النامية :

وهي القضية الاكثر حساسية وصعوبة في مجال العلاقات الاقتصادية الدولية لانها تتعلق بالعالم النامي بشكل مباشر .

طبيعة القضية : تبلغ ديون الدول النامية للدول الصناعية نحو ١٢٠٠ مليار دولار حسب احدث الاحصائيات . ومن الواضح ان غالبية الدول المدينة لاتستطيع دفع خدمة الدين السنوية (القسط + الفوائد) بسبب ان مبلغ الخدمة هذه يأكل القسم الاكبر من صادراتها . وسبب اهتمام الدول الصناعية بهذه القضية لا ينبع من اهتمامها بالجزء الفقير من العالم ومشاكله ، بل من حرصها على استرداد ديونها بشكل او بآخر . لذلك فهي ، في معالجتها لقضية الديون ، تنطلق اولا وآخرا من مصلحتها لا من مصلحة الدول الفقيرة المدينة ..

ومن الواضح ان النفسية الاستعمارية وروح الهيمنة ظهرت في قمة تورنتو من مجرد محاولة ايجاد حلول لهذه القضية دون مشاركة الطرف الاخر (الدول المدينة) بالنقاش والاتفاق .

وعلى الرغم من ان جميع الدول المشاركة في مؤتمر السبعة دول دائنة ، وبشكل خاص الولايات المتحدة وفرنسا ، فان هناك اختلافا معينا في النظرة الى القضية بينها ..

الموقف الفرنسي : الغت فرنسا مبلغ خمسين مليون دولار من ديونها على بعض الدول الافريقية (جنوب الصحراء) ، كما بادرت

مؤخرا باعلانها للتبرع بمليار دولار لتسديد ديون (١٧) دولة افريقية ، كما الغت كندا بعض الديون على (١٣) دولة افريقية فقيرة .. وشطبت المانيا ديونا تبلغ نحو ٣٫٥ مليار دولار .

ولقد ركز الموقف الفرنسي على اهمية الغاء ثلث الديون على الاقل لدول افريقيا الفقيرة (جنوب الصحراء) ...

مناقشة الموقف الفرنسي : الاهتمام الفرنسي بالدول الفقيرة جنوب الصحراء ليس مبنيا على اية ابعاد انسانية ، فالانسانية بعيدة كل البعد عن المنطق الراسمالي اصلا .. فلماذا مثلا لا تشطب ديون دول اشد فقرا من دول جنوب الصحراء كبنغلادش وهايتي وغيرها ؟؟ القضية تكمن في ان دول جنوب الصحراء هي دول الاستعمار الفرنسي سابقا ، وهي دول ترتبط بعلاقات (تاريخية وثقافية واقتصادية) مع فرنسا ، وكذلك مع بريطانيا التي اقترحت صفقة منسقة لاعفاء الدول الافريقية (جنوب الصحراء) من الديون قبل - ١٨ - شهرا من نهاية الضمان .

الموقف الامريكي : الولايات المتحدة كانت دائما ترفض فكرة التعميم وكانت تصر على بحث كل حالة على حدة .. لكنها تنازلت في هذه القمة ووافقت على المقترحات الكندية المعدلة ، وهي مقترحات تعميمية وان كانت تترك الخيار لاساليب مختلفة كما سنرى ...

ولقد رفضت الولايات المتحدة رفضا قاطعا مبدا الغاء جزء من الديون العامة ، كذلك رفضت مبدا خفض اسعار الفائدة بحجة ان هذين المبداين خاضعان لسلطة الكونغرس وليس لسلطة الادارة . لكن الحقيقة هي ان امريكا تخشى تعميم المبادىء بسبب ان جل ديونها لدى دول امريكا اللاتينية (منطقة النفوذ التقليدية) . كما ان الولايات المتحدة ارتاحت للتحديد الجغرافي الفرنسي للدول الفقيرة (جنوب الصحراء) لكي لاتخلق مشاكل معينة في امريكا اللاتينية .

كيف حلت القمة القضية : تم التوصل الى اتفاق جماعي هو الاول من نوعه اذ وافقت الولايات المتحدة عليه . لكن يجب ان لانحمل هذه الموافقة الامريكية للمبادرة الجماعية اكثر مما تستطيع حمله

او ان نفسرها بتفاؤل مفرط . فالاتفاق متعدد الخيارات يترك لكل دولة اختيار ماتراه مناسبا بين مبادىء ثلاثة :

١ - اما تمديد فترة السداد (وهو ما تحبذه الولايات المتحدة) .

٢ - واما تخفيض نسبة الفائدة على الديون (وهو ماتحبذه ايطاليا) .

٣ - واما الغاء جزء من الديون العامة (وهو ما تحبذه فرنسا بسبب علاقاتها مع مستعمراتها السابقة في افريقيا) ...

المهم في الامر انه لابد من الاعتراف بحصول تقدم ، ولاول مرة ، في قضية المديونية ، وان كنا نوافق الاقرار القائل بان المسالة برمتها لاتتعدى عشرة بالمائة من مجموع ديون الدول النامية .

رابعا : خاتمة وتقويم عام :

واخيرا فان قمة تورنتو قمة مثيرة رغم انها لم تصنع العجائب . نحن نعتقد ان القمة اثبتت مااشرنا اليه في دراسات سابقة من ان الدول الامبريالية تتقدم خطوات كبيرة ، وفي كثير من الاحيان نوعية، في عملية التنسيق الشامل والمتكامل تحت هيمنة الولايات المتحدة الامريكية وفي اطار الحفاظ على المصلحة الراسمالية العليا ، مصلحة استغلال العالم وتوطيد آلية نهب ثرواته ...

واذا اضفنا الى حقيقة التقدم الملحوظ في عملية التنسيق داخل اسرة السبعة ، عزم المجموعة الاوروبية على تحقيق الوحدة الاقتصادية وتطوير السوق المشتركة الى سوق موحده بحلول عام ١٩٩٢ القريب جدا ، ازداد اعتقادنا باننا كدول نامية وكدول عربية سنواجه معسكرا امبرياليا اشد تلاحما واعمق تنسيقا في الوقت الذي تتعاظم الخلافات والنزاعات بين الدول النامية وتزداد النزعة الانعزالية في صفوفها ..

يحق لنا ان نتساءل كيف تجتمع الذئاب .. لتتفق ، في حين تجتمع الحملان ... لينهش بعضها لحم بعض !

العَمل الاشتراكي

مفهومه ـ مضامينه ـ خصائصه ـ مراميه

الرفيق : د. ناصر عبيد الناصر

استولت مقولة العمل على اهتمام ادبيات حزب البعث العربي الاشتراكي منذ النشوء والتأسيس وحتى الآن ، كما استحوذت على اهتمام القائد المعلم حافظ الاسد الذي اكبر العمل وانطلق منه وبه حين أهاب بالجميع بضرورة التمسك بقيمة العمل في اكثر من مناسبة « يجب ان نعمل جميعا من اجل حماية اقتصادنا وتطويره وتحسين ظروف معيشة شعبنا في اطار • رؤية بعيدة المدى » (١) .

تتشابك في العمل كمقولة اقتصادية ـ اجتماعية عدة عوامل منها ما يتصل بالجوانب التقنية ، ومنها مايتعلق بالقضايا الاجتماعية ، والعمل بوصفه نشاط بشري هادف يرمي الى استثمار الوسط الخارجي بغرض انتاج الخيرات المادية

---

١ ـ رسالة السيد الرئيس الى الطبقة العاملة بمناسبة يوم العمل الوطني .

التي يتوقف توفيرها على تأمين عناصر العملية الانتاجية التي تتجلى بمواضيع العمل ـ ووسائل العمل . والعمل البشري الذي يشكل محورها الاساسي .

فالعمل يعبر عن العلاقة التي تقوم بين الانسان والطبيعة ، التي يستثمرها طبقا لقانانه من جهة ، ويعكس العلاقات التي تقوم بين الناس والتي تتسم بالطابع الاجتماعي من جهة اخرى .

هذا وتتحدد المضامين الاقتصادية والاجتماعية للعمل في ضوء أسلوب الانتاج السائد ، فحيث تسود الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، فان العمل ينطوي على طابع القسر والاكراه ويتسم بالاستغلال ، ويظهر كعمل خاص للمنتجين المباشرين ، ولايرتدي الطابع الاجتماعي الا عبر عملية التبادل في السوق . بينما في ظل الملكية العامة لوسائل الانتاج ، فان العمل يكتسب طابعا اقتصاديا واجتماعيا متميزا ، تتوضع بواعثه في اطار علاقات الانتاج الاشتراكية ، بمعنى ان بواعث العمل في الاشتراكية ليست اقتصادية فحسب ، وانما اجتماعية وثقافية .

لقد كان العمل ومازال مهماز تطور المجتمعات البشرية ، فهو يشكل المصدر الاساسي لتوفير وسائل العيش اللازمة لحياة البشر ، والعمل حاجة طبيعية متاصلة في الانسان غير ان بعض المفكرين البرجوازيين ينفون الحاجة الطبيعية للانسان الى العمل ، فعلى امتداد قرون طويلة سادت الاسطورة القائلة «ان العمل لعنة أبدية كتبت على الانسان ، من جراء ذنب اقترفه آدم وحواء » ولكن الواقع دحض هذه الاسطورة ، لان العمل يعد من أقدم مكاسب الحضارة البشرية .

● تحرير العمل من الاستغلال :

بفضل الملكية العامة لوسائل الانتاج تخلصت البلدان الاشتراكية من جميع صيغ واشكال استغلال الانسان للانسان ، فقد اتسم العمل بالطابع المبدع واضحى العامل يعمل لنفسه وللمجتمع باسره ، خلافا للنظام الراسمالي حيث يستولي الراسمالي على ثمار جهد العامل ، بحكم تملكه لوسائل الانتاج .

وفي الاشتراكية ، كما في المجتمعات الاخرى يقسم وقت العمل الى قسمين هما: الوقت الضروري والوقت الاضافي ، وتبعا لذلك يقسم انتاج العامل الى قسمين هما الانتاج الضروري والانتاج الاضافي ، ومثل هذا التقسيم لا ينتقص بشيء من مبادىء الاشتراكية . حيث يخصص الانتاج الضروري لتلبية الحاجات المادية والثقافية للعاملين من اجل التطور الحر والشامل للفرد ، بينما يخصص الانتاج الاضافي لتوسيع الاقتصاد الوطني وتطويره ، وهو يوضع بتصرف الدولة الاشتراكية

التي تعنى بتطوير البنية الاقتصادية وتوفير الخدمات الضرورية ، وبتلك الطريقة تستفيد من الانتاج الاضافي ابناء المجتمع كافة . على خلاف ماجري في النظام الراسمالي حيث يدخل الانتاج الاضافي الى جيب الراسمالي .

● شمولية العمل :

ان شمولية العمل في النظام الاشتراكي تجد تعبيرا لها في مبدأ « من لايعمل لاياكل » ففي ظل الملكية العامة لوسائل الانتاج لاوجود لاناس ياكلون ولايعملون ، ويعيشون على حساب استثمار جهد الاخرين وعرقهم .

لقد كرست الاشتراكية ، ولاول مرة في تاريخ البشرية ، واجب العمل على كل مواطن قادر عليه . وفي هذا المنحى اكد دستور حزب البعث العربي الاشتراكي الزامية العمل حيث جاء فيه (المادة ٤٠ – البند الاول) « العمل الزامي على كل من يستطيعه وعلى الدولة ان تضمن عملا فكريا او يدويا لكل مواطن » وبالطبع قد لايتقبل الناس مبدأ الالزام في العمل بسوية واحدة ، ولهذا لابد من بذل المزيد من التربية الاشتراكية لتعويدهم على حب العمل والاستمتاع به . كما وأن الاشتراكية لاتستبعد الاساليب الزجرية ضد المقصرين والمهملين ، الذين افسدهم المجتمع البرجوازي . اذ لا يمكن التخلص من العقلية البرجوازية دفعة واحدة . فالنزعة الفردية والسعي للانتفاع على حساب الاخرين لا يمكن الاطاحة بها بعصبة ثورية ، وانما تتطلب التربية العقائدية المتواصلة التي تكرس النظرة الاشتراكية الى العمل ، والتي قوامها الروح الجماعية « الفرد يعمل للجميع والجميع يعمل للفرد » فالانضباط الصارم والالتزام بالعمل ضرورة موضوعية يفرضها البناء الاشتراكي ، غير ان الاشتراكية تستهجن اسلوب العصا الغليظة الذي اتبع في عهد الرق ، كما تستبعد الطرق المتبعة في النظام الراسمالي في فرض الانضباط على طريق طاعة الجوع . ومثل هذه الاساليب تجعل العامل يهتم بنتائج عمله ، بشكل رمزي ، لانه يدرك تماما ، انه بقدر ما يبذل من جهد ، حتى في حال زيادة أجره ، يزداد استغلاله من جانب رب العمل ، ولهذا يشتد في النظام الراسمالي صراع المصالح الاقتصادية الذي يتحول الى صراع سياسي اذ ان مصلحة الراسمالي تكمن في ترسيخ الملكية الخاصة ، بينما تكمن مصلحة العامل في الملكية العامة لوسائل الانتاج . ومن اجل تصفية التناقضات الاقتصادية بين العمال والراسماليين ، تبرز الحتمية التاريخية في احلال علاقات الانتاج الاشتراكية محل علاقات الانتاج الراسمالية .

ان مبدأ الالزام في العمل تعد من أهم مزايا الاشتراكية ، بيد ان دعاة الفكر البرجوازي ينتقدون هذا المبدأ بعنف ، بحجة ان الزامية العمل هي تقييد للحريات الديمقراطية ، بينما في الراسمالية العامل غير ملزم بالعمل ، ولهذا فهو يتنعم بالحرية ، صحيح ان العامل يتمتع بالحرية الشخصية ، خلافا للارقاء والاقنان ، ويستطيع ان يبيع قوة عمله لمن يشاء من الراسماليين ، لكن حريته تبقى شكلية لانه لا يمتلك اي امكان سوى امكان بيع قوة عمله للراسمالي ، ويستحيل ان يقوم بعمل حر في ظل النظام الراسمالي « الحر » جراء وجود الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، التي تحرم العامل من ثمار عمله ، الا بقدر مايمكنه من تجديد قوة عمله ليواصل العملية الانتاجية .

وشمولية العمل في الاشتراكية ، تعني حق العامل على الدولة في تامين فرص العمل التي تناسب امكاناته ورغباته وميوله . وبفضل التطور المخطط للاقتصاد الوطني ، تمكنت الدول الاشتراكية ، من تامين فرص العمل والتشغيل الكامل للسكان ، في الوقت الذي يعاني فيه عمال الدول الراسمالية من مختلف اشكال البطالة المستتر منها والمعلن فكلما تقدمت الدول الراسمالية من النواحي التكنولوجية ، ازداد تعداد جيش العاطلين عن العمل . فالحركة العمالية في الغرب الراسمالي تطالب اليوم ليس بحق العمل فحسب وانما بتغيير طابعه ومحتواه الاقتصادي والاجتماعي ليصبح حاجة حيوية لدى الانسان .

لقد خففت الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج من عبء العمل وثقله على كاهل العمال الذين يندفعون طواعية للعمل ، من اجل انتاج المزيد من الخيرات المادية التي تنعكس عليهم وعلى المجتمع بصورة ايجابية . والجدير بالذكر هنا ان العمل لايتحول فورا بانتصار الاشتراكية الى الحاجة الحيوية الاولى للانسان ، ومن أجل ان يكون كذلك ، تستخدم البلدان الاشتراكية وسائل الاعلام كافة لتعبئة الرأي العام واقناعه وحثه على العمل ، كما تطبق الحوافز المادية والمعنوية لتشجيع العاملين ، بعيدا عن اساليب القسر والاكراه والاستغلال المتبعة في النظم الراسمالية حيث تفرق الملكية الخاصة بين المنتجين ، وتسعر من حدة المنافسة والمزاحمة بينهم، حتى تاخذ احيانا الحرب الاقتصادية المعلنة اوالخفية «حرب الجميع ضد الجميع».

● الوحدة العضوية بين العمل الذهني والعمل اليدوي :

يتم بتاثير التحويل الاشتراكي ، وبالتدريج تضييق الهوة بين العمل اليدوي والعمل الذهني . فقد اضحى النشاط الفكري في مجتمعات التمايز الطبقي ، حكرا على الطبقة المسيطرة في المجتمع . فالاختصاصيون والاداريون الذين يتحدرون من اصول برجوازية يتولون بانفسهم تنظيم امور الانتاج وتسييره ، وبتلك الطريقة

وظف النشاط الفكري في خدمة الطبقة المستغلة ، وبذلك اشتد التناقض بين العمل الذهني والعمل اليدوي لكون العمل الفكري اكثر بريقا وجاذبية للمترفين .

بينما النظام الاشتراكي فانه يطيح تدريجيا بالتناقض بين العمل الذهني والعمل اليدوي ، على طريق توفير فرص التعليم المجاني بمستوياته كافة ، لكل طبقات المجتمع الاشتراكي وشرائحه ، مما ساعد في التقريب بين العمل الفكري واليدوي ، مع العلم انه يستمر التناقض الثانوي بينهما الى حين في الاشتراكية ، لان كل نوع من الانتاج يتطلب مستوى معينا من التاهيل والاستعداد والقابلية ،ومن المعروف ان قدرات السكان وامكاناتهم تتفاوت فيما بينها فالذين يملكون قدرات ومهارات ادارية عالية يتولون تنظيم وادارة تقنيات الانتاج بينما تنخرط بقية افراد المجتمع في ممارسة العمل اليدوي .

ومع بناء المجتمع الاشتراكي المتطور ، تتاح فرص اكبر لازالة التناقض الهامشي بين العمل الفكري واليدوي ، وصولا الى الوحدة العضوية بينهما ، والتي تتعزز بتوظيف معطيات الثورة العلمية ـ التكنولوجية من مكننة واتمتة ، والتي تساهم بدورها في تضييق حدود العمل اليدوي ليقتصر على الاعمال الخفيفة والبسيطة مثل ضغط ازرار اللوحات الالكترونية وصيانة الاجهزة والمعدات . في الوقت الذي تتسع فيه اطر العمل الذهني ، بتاثير المعارف والثقافات التقنية العالية التي تحقق التقارب والتلاحم بين الاداريين من جهة والعاملين من جهة اخرى .

وفي ضوء هذا المنظور اكد دستور الحزب في مادته السادسة والاربعين أهمية تعميم العلم والثقافة على الجميع والذي بدوره يقضي على الفوارق بين العملين الذهني واليدوي « التعليم بكل مراحله مجاني للمواطنين جميعا ، والزامي في مراحله الابتدائية والثانوية » وفي المادة (٤٣) من الدستور ورد « التفاوت الطبقي نتيجة لوضع اجتماعي فاسد . لذلك فالحزب يناضل في صف الطبقات الكادحة المضطهدة من المجتمع حتى تزول هذا التفاوت والتمايز ويستعيد المواطنون جميعا قيمتهم الانسانية كاملة ، ويتاح لهم الحياة في ظل نظام اجتماعي عادل لاميزة فيه للمواطن سوى كفاءة الفكر ومهارة اليد » وهكذا ربط حزبنا بين العمل وقيمة المواطن التي تقاس بمقدار مايقدمه من جهد للوطن والامة . وعملا باحكام الدستور حرصت ثورة الثامن من آذار على تكريس مبدأ « حق وواجب العمل على جميع القادرين عليه » وهذه ماأكدته حكومة الثورة في المنهاج المرحلي الذي أقره المؤتمر القطري الاول الاستثنائي لعام ١٩٦٥ ، حيث تضمن .. ان حكومة الثورة التي تقدر خطورة الاقتصاد في حياة الشعوب ... تذكر جميع المواطنين في داخل الوطن

وفي الخارج بواجبهم الوطني ببذل اقصى الجهود الممكنة لدفع عجلة التنمية الى الامام » (١) وفي مكان اخر من المنهاج جاء « يعتبر حكم الثورة الفئات العاملة المنتجة قاعدة للمجتمع الجديد ويعتبر العمل قيمة اجتماعية عالية ويسعى لتغيير النظرة السائدة للعمل ، بما يسبغ الاحترام والتقديس على هذا النشاط البشري، وبربطه بالواجب الوطني والانساني »(٢) .

لقد استولت على اهتمام السياسة الاقتصادية لحزبنا مسالة تقريب العمل اليدوي من العمل الذهني من خلال مجانية التعليم بكل مستوياته وتوفير مستلزماته بغية تعميمه على أبناء المجتمع كافة ، كما استهدفت سياسة الحزب عملية تقريب العمل في القطاع الزراعي من العمل في القطاع الصناعي ، بغرض الاطاحة بالتناقض الثانوي بين القرية والمدينة ، حيث سعت حكومة الثورة الى بذل المزيد من الجهود من أجل الارتقاء بمستوى الخدمات الصحية والتربوية والثقافية في الريف ، والتي توجّت « بثورة الكهرباء في الريف » سيما في ظل الحركة التصحيحية التي قادها معلم الامة الرفيق المناضل حافظ الاسد .

● تقريب العمل الزراعي من العمل الصناعي :

ترث الثورة الاشتراكية عن النظام القديم زراعة متخلفة نسبيا مقارنة بالصناعة التي يتوغل فيها راس المال بسرعة ، ويؤمن لها تقنية عالية ، بينما يقتصر دوره في اغلب الحالات على تقديم القروض والخدمات .

ونتيجة للتخلف التقني للاقتصاد الزراعي ،فان العمل بدوره يكون بدائيا وتقليديا يجد انعكاسا له في التناقض التناحري بين القرية والمدينة في الراسمالية . وفي الاشتراكية يستمر التناقض التناحري ايضا بين الريف والمدينة الى فترة زمنية ليست بالقصيرة حتى يتم ارساء الزراعة على أسس علمية وتقنية حديثة ، عبر مكننة الزراعة ومد شبكات الري والصرف واستخدام البذور المحسنة واصطفاء السلالات الحيوانية عالية المردود بالاضافة الى استخدام المخصبات الكيماوية والمبيدات الحشرية .

ومن دون شك يفرز التناقض الثانوي بين القرية والمدينة تناقضا من نوع آخر ينشا بين الطبقة العاملة والطبقة الفلاحية ، اذ يجد تعبيرا له في تناقض المصالح ،

(١) ـ المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار ص ٦٤ .

(٢) ـ المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار ص ١٠٨ .

اذ ان العضو التعاوني ، والفلاح على وجه العموم ، عندما يسوق محصوله في السوق ، يحدوه الامل في الحصول على أعلى سعر ممكن ، بينما يحرص العامل على شراء هذه السلع بارخص الاثمان ، الامر الذي يعني بان المصالح الاقتصادية للعمال والفلاحين لاتتطابق تماما في الاشتراكية .

ويهدف التخلص من التناقض الثانوي بينهما ، تعمل الدولة الاشتراكية مابوسعها على تقريب الملكية التعاونية من الملكية الحكومية ، عبر توليف نظام الاجور والمداخيل وتطبيق الرعاية الصحية الموحدة ، وسن التشريعات والقوانين الناظمة بهذا الخصوص . وبالانتقال الى بناء المجتمع الاشتراكي المتطور ، يجري توظيف منجزات التقدم العلمي والتكنولوجي بشكل حثيث في القطاع الزراعي ، بغية تقريبه تدريجيا من مستوى تطور القطاع الصناعي . وبالفعل فقد انتقلت معظم البلدان الاشتراكية من التطور الافقي الى التطور الراسي في الزراعة (التكثيف الزراعي) الذي تطلب تطبيق المزيد من التقنيات الانتاجية المعمول بها في الصناعة كما تطلب رفع كفاءة العاملين ومهاراتهم في القطاع الزراعي . وبذلك تحول عملهم تدريجيا الى عمل مماثل ، ان لم يكن مطابقا لعمل الشغيلة في المجال الصناعي باستثناء بعض الخصائص التي تمليها العوامل البيولوجية والطبيعية التي تتحكم باستثمار الزراعي .

● الحوافز المادية والمعنوية :

تطلبت زيادة معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في النظام الاشتراكي ، تطبيق الحوافز المادية والمعنوية لحفز العاملين وتشجيعهم على زيادة الانتاج كما ونوعا ، من خلال الربط بين حيازتهم وسائل العيش بمقدار مايقدمونه من جهد للمجتمع ، فالدولة تستخدم سياسة الاجور والاسعار والمكافآت للتوفيق بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة .

وبالطبع لاتقتصر تطبيق الحوافز المادية والمعنوية على النظام الاشتراكي ، وانما معمول بها في النظام الراسمالي حيث مفعولها واثرها محدودان بسبب اغتراب العمل كون العامل في الراسمالية منفصل عن وسائل الانتاج بسبب الملكية الخاصة ، كما وان اهتمامه بنتائج العمل محدود ، لان ثمار الانتاج يستولي عليها الراسمالي من دون وجه حق ، وذلك بحكم تملكه الخاص لوسائل الانتاج .

لقد اتجهت الدول الاشتراكية نحو تصفية الاغتراب السيكولوجي للعمل ، الذي تحتفظ به الطبقة العاملة الاشتراكية الى حين ، حيث تتخلص الاشتراكية تدريجيا من السيكولوجية التقليدية للعمل في المجتمع البرجوازي ، عبر التثقيف

الايديولوجي والعقائدي ، الذي يساهم في تكريس المثل والقيم والمبادىء الاشتراكية في نفوس المواطنين .

فالحوافز المادية والمعنوية اداة مهمة في تشجيع الكادحين على البذل والعطاء من اجل انجاز مهام البناء الاشتراكي ، باقل التكاليف وباسرع وقت ممكن . والمواطن الاشتراكي المتنور يدرك تماما ان تحسين مستواه المعاشي مرتبط في نهاية المطاف بتطوير الانتاج وتحسينه ، لان المجتمع لايستطيع أن يوزع الا ماينتجه . وبقدر ما تكون نتائج العمل كبيرة ، تؤمن احتياجات الناس بصورة أفضل عملا بمبدأ « اهتمام الكل بمصلحة الفرد ، واهتمام الفرد بمصلحة الكل » .

وللحوافز المعنوية والهدايا التشجيعية والصور التذكارية وابراز ابطال الانتاج في وسائل الاعلام كافة ، دور مهم في رفع كفاية الانتاج وفي تحسين نوعية المنتج ، أي انها تلعب دورا مهما في تنمية حماس العاملين واندفاعهم لاداء الواجبات المنوطة بهم مع العلم يستحيل بناء الاشتراكية بالاعتماد على الحماس وحد ، ولايعني الاشتراكية بالمعنويات فقط رغم أهميتها ، اذ لابد من مراعاة المصالح الاقتصادية للعاملين . وفي هذا المنحى اكد دستور حزب البعث العربي الاشتراكي في المادة ٤٠ البند الثاني ، الحافز المادي « يجب أن يكفل مورد العمل لعامله على الاقل ، مستوى لائقا من الحياة » وبهذا المعنى يرى الحزب ضرورة مراعاة المصالح الاقتصادية للكادحين .

ان البلدان الاشتراكية تحرص على تنسيق العلاقة التبادلية بين الحوافز المادية والمعنوية من خلال المنطلقات التالية :

أولا : ترجيح الحوافز المادية على الحوافز المعنوية ، لكون العمل لم يصبح بعد الحاجة الحيوية الاولى للانسان ، الذي لايزال ينظر الى العمل كوسيلة للعيش .

ثانيا : الحوافز المادية والمعنوية وجهان لعملة واحدة ، فاي تحسن في جانب يقود الى تحسين الجانب الاخر وتطويره . اذ عندما يتقاضى العامل اجره تبعا لكمية ونوعية العمل الذي يؤديه ، فان ذلك يرفع من معنوياته ، ويحقق ذاته لكون المجتمع اعترف على عمله .

ثالثا : تتسم الحوافز المادية والحوافز المعنوية بالاستقلال النسبي بعضها عن بعض ، وفي ضوء التبدلات النوعية التي تطرأ على العمل في الاشتراكية ، سيما في مرحلة بناء المجتمع الاشتراكي المتطور ، تنحسر الحوافز المادية تدريجيا لصالح الحوافز المعنوية حيث تبرز شخصية الكادح المثقفة الواعية المؤمنة حقا باخلاقية

الاشتراكية وتصبح النظرة الى العمل تدريجيا على أنه حاجة حيوية ملحة ، ومن دون ممارسته يشعر الانسان بان هناك شيئا ما ينقصه .

بالرغم من الدور الذي تلعبه الحوافز المادية والمعنوية في دفع عجلة الانتاج الاشتراكي قدما الى الامام ، يعتقد بعض الاقتصاديين البرجوازيين ، بان الاشتراكية تفتقر الى حوافز العمل ، بسبب غياب الملكية الخاصة ، والمبادرة الفردية ، كما يعارض المتطرفون اليساريون تطبيق الحوافز المادية لانها – حسب رأيهم – تعني انحلال الناس برجوازيا ، ويصرون في الوقت ذاته على تطبيق الحوافز المعنوية فقط ، وبالطبع مثل هذه الاراء لا تصمد طويلا امام النقد لانه لو صح ان الاشتراكية تفتقر الى حوافز العمل ، كيف لنا ان نفسر معدلات النمو العالية التي احرزتها البلدان الاشتراكية هذا من جهة ، كما وان المعنويات وحدها غير كافية لانجاز مهام البناء الاشتراكي فلا بد من تحريض الناس ماديا من جهة أخرى .

● المباراة الاشتراكية :

تعد المباراة الاشتراكية بوصفها علاقة موضوعية تنشأ بين المجموعات العاملة سمة ملازمة للنظام الاشتراكي ، وهي تؤدي مهاما اقتصادية واجتماعية وسياسية وعقائدية في آن واحد .

وبفضل المباراة الاقتصادية ، تمكنت البلدان الاشتراكية من :

– تعميق التقسيم الاجتماعي للعمل وتطويره بالاعتماد على التقنيات الانتاجية الحديثة .

– توطين المشاريع بشكل مخطط ومنهجي .

– استثمار وصيانة الالات والتجهيزات والمعدات على نحو أمثل .

– الكشف عن الاحتياطات من موارد طبيعية وطاقات بشرية وتوظيفها في عملية التنمية .

– الحد من الهدر في المواد الاولية والطاقة وفي الوقت والجهد .

وبذلك تبرز المباراة الاشتراكية من حيث أنها ضرورة علمية موضوعية ، تشترطها الادارة الواعية والهادفة للمرافق الاقتصادية والخدمية ، كما تفترضها مسألة تطوير الانتاج بوتائر عالية ، وتمارس المباراة الاشتراكية على أرض الواقع وتبرز نتائجها من خلال وسائل الدعاية والاعلام التي تتيح امكانات المقارنة بين النتائج والاهداف التي يتوخاها المجتمع .

لقد ساهمت وتساهم المباراة الاشتراكية في التسريع من عملية التحول

الاشتراكي ، وفي حفز الانتاج ورفع وتيرة العمل ، وبالرغم من ذلك تأخذ بعض الاوساط البرجوازية على الاشتراكية بانها لاتريد ان تسمي الامور بمسمياتها ، فالمباراة الاشتراكية تعني في المحصلة حسب رأيهم ، المنافسة والمزاحمة التي تجري في النظام الرأسمالي . غير ان الواقع تعري مثل هذه الاراء لان صراع المزاحمة يجري في ظروف السوق بين البائعين والمشترين ، والمنافسة تفرق بين المصالح الاقتصادية ، وتعمق التمايز الطبقي ، بينما المباراة الاشتراكية وسيلة مهمة لرفع انتاجية العمل وزيادة كفاية الانتاج لاشباع الحاجات المادية والثقافية لابناء المجتمع الاشتراكي .

● جوهر التنظيم الاشتراكي للعمل :

يمثل العمل ووسائل الانتاج العناصر الاساسية للعملية الانتاجية ، ومن دونهما لا يمكن انتاج الخيرات المادية اللازمة لحياة المجتمع ، وباندماج وسائل الانتاج مع العمال ، يتحقق النشاط المادي للناس ، الذي يتطلب مختلف الاشكال من تنظيم العمل الذي يشتمل على جانبين :

الاول – النواحي التقنية والانتاجية ، التي تتضمن كلا من : العمل – أدوات العمل – مواضيع العمل – تركيب العمل – التكنولوجيا .. الخ .

الثاني – ويشتمل على النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، التي تندرج فيها العلاقات التي تقوم بين الناس في سياق العملية الانتاجية مثل : تجديد قوة العمل، وقت العمل المأجور والعمل الحر ، انتاجية العمل وشدته ، العمل الفردي والعمل الضروري اجتماعيا . وتشكل هذه العناصر مجتمعة العلاقات الانتاجية ، التي يجب ان يتناولها التنظيم الاشتراكي للعمل الذي يحقق التوازن والتناسب بين مكونات العملية الانتاجية .

فالتنظيم الاشتراكي للعمل يرتكز على مجموعة من الاسس والمبادىء والتي من اهمها :

اولا – القيادة الحكومية المخططة : ويمليها الطابع الاجتماعي المباشر للعمل، والذي يمكن الدولة الاشتراكية من أن تحقق التناسب في توزيع القوى العاملة بين فروع الاقتصاد الوطني وقطاعاته .

ثانيا – التنظيم العلمي للعمل : اذ تتوافر في الدول الاشتراكية كل الامكانات اللازمة لتنظيم العمل على اسس علمية مدروسة ، ليس في اطار المنشأة فحسب وانما على صعيد الاقتصاد الوطني ككل وبمساعدة التنظيم العلمي للعمل ، يجرى

حصر أعداد العاملين والمختصين ، وتوزيعهم على مختلف فروع الاقتصاد والوحدات الانتاجية ، كما يتم وضع معايير ومعدلات للعمل والاجور . وكذلك تطبيق الحوافز المادية والمعنوية لاجتذاب الكادحين وحفزهم على رفع انتاجية العمل وشدته .

ثالثا ـ تعاونية العمل : فالعمل الاشتراكي يتسم بالطابع التعاوني والجماعي حيث يساهم التقسيم الاجتماعي للعمل في توسيع أطر التعاون ، وفي تطوير القوى المنتجة .

هذا ويتناول تنظيم العمل مسائل تجديد الانتاج الموسع بجميع عناصره ومكوناته ، كما يتناول قضايا التبادل السلعي ، كي ترقى مؤسسات التجارة الداخلية الى مستوى خدمة المواطن . فآلية السوق تدرس سلوك المستهلكين وذوقهم ورغباتهم ، وعن طريق اقنية التجارة توضع المؤسسات الانتاجية بصورة المادة السلعية ومستوى الاقبال عليها ، مما يدفعها الى تحسين الانتاج وتنويعه والتقيد بمقاييس السلعة ومواصفاتها .

● قانون التحسين المستمر لانتاجية العمل :

ان أي عملية انتاجية تشترط انفاق طاقة معينة من جانب العمل ، أي أن انفاق الجهد اليدوي أو الذهني شرط ضروري لانجاز العملية الانتاجية ، والتي تتوقف على شدة العمل التي تعني درجة انفاق الجهد من جانب العامل . فشدة العمل تجد تعبيرا لها في كمية العمل الذي يبذله العامل في سياق الانتاج ، خلال فترة زمنية معينة . ولا شك بان كمية العمل التي ينفقها العامل في اطار العملية الانتاجية خلال وحدة من الزمن ، لا تتوقف على رغبات العاملين وامنياتهم فحسب، بل انها ترتبط اساسا بالظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة ، كما تتوقف ايضا على العوامل البيولوجية والطبيعة .

وشدة العمل تنطوي على ظواهر متنوعة ومعقدة ، منها ما يرتبط بفترة العمل اليومي ، ومنها ما يتعلق بالظروف والشروط التي تتحكم بطبيعة العمل . فالملكية الاشتراكية تفرض مستوى معينا لشدة العمل يتناسب والقدرة الفيزيولوجية العادية للعامل ، دونما اجهاد أو استنزاف لا عقلاني لطاقات العاملين وقدراتهم اليدوية والذهنية ، فالدول الاشتراكية توفر الشروط اللازمة لتخفيف التوتر النفسي والجسدي عن كاهل العاملين ، لا سيما الذين يمارسون أعمالا مضنية ، وفي اطار شروط عمل قاسية جدا .

هذا وترتبط شدة العمل بانتاجية العمل الاجتماعية ، فكل منهما يشترط الاخر ويكمله ، وكلاهما يؤديان الى زيادة عدد الوحدات القياسية الانتاجية خلال فترة

من الزمن . وعلى الرغم من ذلك هناك ثمة فوارق بينهما ، اذ ان شدة العمل تقاس بكمية العمل الذي أنفقه العامل على الانتاج خلال فترة زمنية معينة ، بينما انتاجية العمل تعبر عن كمية الانتاج خلال وحدة من الزمن . فضلا عن ذلك لشدة العمل حدود فيزيولوجية واخلاقية لا يمكن تجاوزها في اجهاد العامل . في الوقت الذي تكون فيه انتاجية العمل مطلقة . فكلما تطورت وسائل الانتاج ، وكلما ادخلت منجزات التقدم العلمي ـ والتقني ، ارتفعت انتاجية العمل .

فالعلاقة التناسبية بين كمية الوحدات المنتجة ، وكمية العمل المبذول لانتاجها تعبر عن مستوى انتاجية العمل ، التي ترتفع وتخفف تبعا لـ :

- مستوى التكنولوجيا المستخدمة في الانتاج .
- مهارة اليد العاملة وكفايتها .
- مستوى تنظيم العمل وادارته .
- مدى توافر الشروط الطبيعية الملائمة .

وهذا يعني اذا هيئت مثل هذه الشروط وتم توفيرها ، يمكن بالوحدة نفسها من العمل ، وللفترة نفسها من الزمن ، تحقيق اكبر كمية من المنتجات .

وفي الواقع هناك عوامل أخرى لا تتصل مباشرة بعمل العامل ، تؤدي ايضا لرفع انتاجية العمل ومنها . طبيعة الروابط التي تقوم بين المؤسسات الانتاجية ، اسلوب توطين المشاريع الانتاجية في المناطق ، من حيث قربها وبعدها من المواد الاولية ومنافذ التسويق وشبكة المواصلات .. الخ . كذلك تؤثر الحوافز المادية والمعنوية واسلوب تطبيقها بهذا الخصوص ، فضلا عن عملية استبدال التكنولوجيا القديمة باحدث منها .

وبغرض رفع انتاجية العمل تبنت الثورة في منهاجها المرحلي سياسة للاجور والرواتب تستهدف ربط الاجر بالانتاج ، « وعلى ذلك تعلن الدولة ... ربط مستوى الاجور والرواتب بمستوى الانتاجية ، اي أنها ستسمح بزيادة الاجور والرواتب فقط عندما تكون تلك الزيادة مصحوبة بزيادة صافية في الانتاجية »(١) .

● تجديد قوة العمل :

يعد العمل البشري العنصر الاهم في العملية الانتاجية ، ولهذا لا بد من تدريبها وتاهيلها وتوزيعها على فروع الاقتصاد الوطني ، فضلا عن تحسين مستواها

---

(١) المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار ـ ص ٩٣ .

المعاشي بغية توفير شروط تجديد تكاثر السكان من الناحية الطبيعية ، وهذا ما حث عليه دستور البعث في المادة (٣٨) البند الثاني « النسل امانة في عنق الاسرة اولا والدولة ثانيا وعليهما العمل في تكثيره والعناية بصحته وتربيته » .

لقد اطاح النظام الاشتراكي بالنظرة البرجوازية الضيقة لتجديد قوة العمل والتي تقتصر على تجديد قدرتها على العمل . فالرؤية الاشتراكية نحو تجديد قوة العمل لا تقتصر على تجديد قدرتها على العمل فحسب ، وانما تسع لتؤمن التطور الحر والشامل للفرد بالاضافة الى تحسين شروط العمل وتخفيف أعبائه وزيادة مهارة العمال وثقافتهم .

وتجديد قوة العمل تنطوي على جانبين الاول : الجانب الكمي ، والذي يعني زيادة عدد السكان والموارد البشرية التي تتطلب اتخاذ المزيد من الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية التي تستهدف تامين التناسب بين النمو الطبيعي للسكان والحاجة الى قوة العمل ، وعليه يفترض زيادة الولادات وتخفيف عدد الوفيات ، عبر تحسين الظروف المعاشية للسكان . والجانب الثاني لتجديد قوة العمل وهو (نوعي) يعتمد على اعداد الكوادر المتخصصة وتاهيلها بما يؤمن متطلبات التقدم العلمي والتقني . اذ تتطلب مكننة واتمتة الانتاج ليس اعداد وتاهيل القوى العاملة فحسب ، وانما تامين اختصاصيين بمستويات رفيعة .

ففي ظل الثورة العلمية ـ التكنولوجية ، اتسعت أهمية العمل « المؤهل » ومكانته واخذ ينحسر تدريجيا العمل « غير المؤهل » مما انعكس ايجابا على زيادة فعالية الانتاج وعلى تقريب العمل اليدوي من العمل الذهني . ومن اجل احكام العلاقة بين العلم والانتاج لا بد من تحقيق دور المؤسسات التربوية والتعليمية ومراكز البحث العلمي بالاضافة الى رفع الكفاية المهنية للايدي العاملة .

لقد توافرت في البلدان الاشتراكية الفرص كافة للتشغيل الامثل للسكان القادرين على العمل ، لكن عملية استيعاب قوة العمل لا تتحقق بشكل تلقائي ، وانما تتم عبر اشادة المشاريع الانتاجية وغير الانتاجية . وقد قادت التبدلات البنيوية في اقتصاديات الدول الاشتراكية الى احداث تبدل نسبي في حاجة هذا القطاع أو ذاك الى قوة العمل . فمثلا ، نتيجة لمكننة القطاع الزراعي ، تم تحرير جزء من قوة العمل الزراعية ، امكن توجيهها الى قطاعات الصناعة والبناء والتشييد والخدمات ، التي هي الاخرى انخفضت حاجتها الى اليد العاملة جراء اتمتة تقنيات الانتاج ، وبالتالي امكن تحويل الفائض في القطاعات الانتاجية الى

المجالات الخدمية ، سيما في مجال العلم والثقافة التي تحرص الاشتراكية على تطويره . كذلك ظهر في بعض البلدان الاشتراكية فائض في اليد العاملة في بعض المناطق والاقاليم ، تم توجيهها الى المناطق التي هي بحاجة اليها ، عبر العلاوات والمكافات التشجيعية .

من سياق ما ورد تتجلى لنا خصائص وسمات العمل في النظام الاشتراكي والتي يمكن حصرها بالتالي :

١ ـ شمولية العمل و الزاميته ، والاشتراكية لا تتبنى هذا المبدا من وجهة نظر قانونية ليس الا وانما توفر الشروط الاقتصادية اللازمة لممارسة العمل الذي ينسجم وقدرات العاملين ورغباتهم .

٢ ـ حق العمل مضمون لكل مواطن ، ومن حق كل مواطن ممارسة العمل الذي يتناسب ومؤهلاته وميوله .

٣ ـ يجري توزيع الموارد البشرية بشكل هادف ومخطط ، تبعا لاحتياجات فروع الاقتصاد الوطني .

٤ ـ العمل بمقولتي « من لا يعمل لا يأكل » ، « ربط الاجر بالانتاج » .

٥ ـ تطبيق مبدأ الحوافز المادية والمعنوية .

٦ ـ فرض الانضباط الواعي والالتزام باخلاقية العمل ومتطلباته .

دراسات تاريخية

إبلا والتوراة..

الرفيق: محمد وحيد خياط

وقع في يدي كتاب باللغة الالمانية مترجم عن الانكليزية بعنوان **« إبلا حضارة مكتشفة حديثا في الشرق القديم »** لكاتبين يهوديين هما « حاييم برمانت » و « ميكائيل وايتزمان » .

وتعرف مقدمة الكتاب المؤلفين فتقول عن « حاييم برمانت » : بانه صحفي ، ويعمل لصالح احدى الوكالات اليهودية ، وتصف الثاني « ميكائيل وايتزمان » بانه استاذ الدراسات العبرية واليهودية في جامعة لندن . ونستخلص من التعريف المذكور انه لا علاقة تربطهما بالموضوع الذي يكتبان عنه ، وانما تعديا على اختصاص ليس من اختصاصهما ، واعتمدا الاسلوب الانشائي في صياغة الكتاب بما توافر لهما من مصادر توراتية ودراسات لاهوتية يهودية لا تمت الى الدراسات الاثرية او اللغوية بصلة ، وكان رائدهما في هذا المجال الاستاذ « فريدمان » استاذ اللاهوت في جامعة

« ميتشغان » ، وناشر مجلةالاثار التوراتية ، وغيره من الهواة الذين يجمعون معلوماتهم السطحية من كل حدب وصوب ، مستعينين بوسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة التي كان دابها الاثارة والتشويق على حساب الموضوعية والبحث الدقيق ، وكانت النتيجة ان وصلا بتقصياتهما الى ان السوريين هم احفاد العبرانيين القدامى، وان دولة عبرية ذات اعراف وتقاليد عريقة ممتدة الجذور كانت قابعة تحت ركام الزمن في « تل مرديخ » ، ولم يكتفيا بهذا القدر من الاسفاف بل زعما انهما الوحيدان اللذان تجمعت لديهما كل الحقائق حول هذه المدينة التي كانت مستورة عن اعين الباحثين منذ خمسة آلاف عام ، والتي رات النور منذ امد قصير على يد المنقبين الايطاليين .

ويروي المؤلفان قصة الاكتشاف الاثري المذهل في إبلا باسلوب صحفي درامي شيق ، مشوهين النصوص ، مضيفين تفسيرات ما انزل الله بها من سلطان ، متحاملين على القطر العربي السوري وعلى حكومته ، زاعمين ان سورية دابت على وضع العراقيل امام الباحثين لتمنعهم من الوصول الى الحقيقة ، وكل ما كتب حول إبلا قبلهما هو مجرد هراء غير قائم على اسس علمية صحيحة ، ويعتقدان انهما الوحيدان اللذان توصلا الى مفتاح الحقيقة ، وغير ذلك كثير يضيق المقام هنا عن ذكره ، ولنستمع الى راي متخصص في قراءة ودراسة الخطوط المسمارية في جامعة شيكاغو عن امثال هؤلاء الدعاة ، يقول الاستاذ روبرت بيغس :

« طبعا سمعت عن إبلا مرات ومرات ، وذلك من خلال الصحف والمجلات والاذاعة والتلفاز ، وما زالت اذكر احد مذيعي الراديو يعلن بكل جراة : ان إبلا بما تحويه من نصوص قديمة تمثل مدرسة لاهوتية ، وكل كلمة وردت في نصوصها ، لها ما يماثلها على صفحات العهد القديم » : ويعلق استاذ المسماريات « بيغس » على ذلك ما يلي :

إن وراء هذا الضجيج الاعلامي اهدافا سياسية غير خافية على احد ، تسعى الى ترويج هذه الاكتشافات ، على انها إبداع شعب الله المختار وطبعها بطابع سياسي خفي ، وليست هذه المرة الاولى والاخيرة في استغلال الاكتشافات الاثرية لصالح التوراة ، فقد حدث مثل هذا عند اكتشاف رواسب فيضان محلي في مدينة اور الواقعة في جنوب بلاد ما بين النهرين ، حيث رأى فيه اصحاب الاجتهاد طوفان نوح ، الذي تحدثت عنه التوراة ثم ما لبث ان طوى الزمن هذا التفسير كغيره من الادعاءات المغرضة ، التي ليس لها مايدعمها علميا بوسائل البحث الحديثة .

ولن اذهب بعيدا في الحديث عن إبلا وعن اهميتها الحضارية والمدنية في منطقة الشرق العربي القديم ، فقد سبقني الى ذلك كثيرون ممن له باع طويل او قصير في هذا المجال ، واصبحت إبلا بفضلهم اسم علم على كل شفة ولسان يتناوله الصغير قبل الكبير ، إذ انه الان يزين واجهات المحال التجارية والمطاعم ، ويطلق على مستحضرات التجميل وادوات الزينة ، وان كنت اشك في ثقافة من يتباهى بهذا الاسم ،ومعرفة من يستخدمونه لمدلولاته الحضارية ، فربما كان دافعهم الى اختياره حديث المثقفين عنه ، ووقع جرسه الموسيقي الطرب في الاذن .

إن اهم ما في الموضوع وما يعنيني بالذات ، هو اكتشاف الرقم الكتابية ، وما سببته من اشكالات ومنازعات ، هي في الواقع ليست بالامر الجديد النسبة للمطالع ، والعارف ببواطن الامور وخفاياها ، وذلك فيما يخص مضمون هذه الكتابات ، ومحاولة ربطها باسفار العهد القديم ، وسيأتي الحديث عنها مفصلا فيما بعد ، والجديد كل الجدة ، والذي لم يعره المهتمون بصحة نصوص التوراة اهتماما يذكر ، هو ان محفوظات إبلا الكتابية المكتشفة في ارض القطر العربي السوري ، والتي ترقى بتاريخها الى الالف الثالث ق.م ، لم يخطر

تاريخها تاريخا دقيقا ببال احد المختصين ، ولم يتوقع وجودها احد في المكان الذي اكتشفت فيه ، حيث كان الاعتقاد شائعا في كل الاوساط العلمية الاثرية ان سورية كانت تعيش على هـامش الحضارات ، التي نشأت وترعرعت في ارض الرافدين ووادي النيل ، هذا ما تلقيناه من اساتذتنا واعطيناه بدورنا الى تلامذتنا حتى حدث الامر الجلل عام ١٩٧٤ حيث عثر على (٤٢) رقما كتابيا في تـل مرديخ الذي تنقب فيه بعثة اثرية ايطالية بتكليف من جامعة روما منذ عام ١٩٦٤ ، وكانت لغة هذه الرقم ذات المضامين الاقتصادية البسيطة تختلف في بعض نقاطهـا عن مجموعة اللغـات الساميـة المعروفة في بلاد الرافدين في ذلك الزمن ، وقـد اشـار الاستاذ **جيوفاني بتناتو** الى تفرد هذه اللغة وتميزها عن بقية اللغات السامية في المؤتمر اللغوي ، الذي عقد في هايدلبرج بالمانيا الغربية ، وضم علماء مختصين باللغات السامية من كل اصقاع الدنيـا ، آنـذاك سفه آراءه الكثيرون ، لاسيما عندما قال انه اكتشف ابلا في تـل مرديخ على بعد (٦٠) كم جنوب حلب ، هذه المدينـة التي حـدد موقعها من قبل اللغويين وعلماء الاثار في شمالي حلب وقرب كلس ، حيث ان اسمها ورد في نصوص بلاد ما بين النهرين ، وجاء اكتشـاف المحفوظات في تل مرديخ عام ١٩٧٥ ليعطي الدليل القاطع على ان تل مرديخ هو فعلا مدينة إبلا القديمة التي تحدثت عنها النصوص الرافدية ، والنص الذي كتب على تمثال نذري لاحـد العابدين المكتشف عام ١٩٦٨ في تل مرديخ ، الا ان المشككين عللوا آنذاك ذكر الاسم بان التمثال كان مهدى من صاحبه الى الربة عشتار في (**إبـلا**) ، واكتشافه في تل مرديخ لا يعني ان الموقع هو مدينة «**إبـلا**» .

ومهما كان الامر فان ما اكتشف من رقم في القصر الملكي كان مصنفا على رفوف خشبية مثبتة بدعائم ، ومرتبة حسب موضوعاتها ، وهي ذوات اشكال واحجام مختلفة ، مستطيلة ومربعة ومستديرة ،

وتتضمن موضوعات اقتصادية ولوائح قاموسية . واصبح واضحا ان اللغة المدونة بها هي من اللغات السامية القريبة من الاوغاريتية والفينيقية ، وان كانت اقدم منهما بالف عام ، وقد احتار اللغويون بادىء ذي بدء في اختيار الاسم المناسب لها ، فمنهم من اطلق عليها اسم اللغة الكنعانية ، بينمــا راى آخرون انها تمثل مرحلة ما قبــل الكنعانية ، واكتفى بعضهم بوصفها لغة سامية شمالية غربية .

واخيرا استقر الراي على نسبها الى المدينة ، فاصبحت تعرف باللغة الايبلائية مؤقتا ريثما تتضح معالمها اكثر بعد إيفائها حقها من الدراسات اللغوية اللازمة ، وقد استعار سكان إبــلا الــكتابة المسمارية من السومريين ، وكثيرا من تعابيرهم والفاظهم حتى باتت لغة التدوين الرسمية تشكل **(ثمانين بالمئة)** من مفرداتها ، في حين اقتصرت اللغة المحلية على **(عشرين بالمئة)** فقط .

وهكذا نجد ان دراسة رقم إبلا ليست بالامر السهل بل متعددة ، ويحتاج دارسها الى معرفة تامة باللغة السومرية ، واساليب الكتابة بالخط المسماري الذي شاع وانتشر في الالف الثالث ق. م.

فلا نستغرب والحال على ما هي عليه من تعقيد ان تسير عملية فك رموز الواح إبلا ببطء متنــاه ، وكان الاستاذ بتيناتو « قــارىء الخطوط القديمة لدى البعثة آنذاك » قد اشار الى هذه الصعوبات في تقريره الاولي الذي نشره باللغة الانكليزية عام ١٩٧٦ ، وتضمن التقرير محاولات بدائية في قراءة النصوص ، الا ان صاحبه اغفل الاشارة الى تاريخ هذه الرقم ، رغم اهمية هذا الموضوع بالنسبة لعلماء الاثار واللغات . ويعيد الاستاذ بيغس الى اذهاننــا عصر صرغون الاكادي والعصر السابق له من خلال اللوحــات الكتابية المكتشفة في موقعي **« فارا »** و **« ابي صلابيخ »** في جنوب ما بين النهرين ، والتي تؤرخ حوالي (٢٦٠٠) ســنة ق.م اي الفترة السابقة لعصر كتابات « إبــلا » بزمن قصير ، غير ان رقم « ابــلا »

اكثر وضوحا وايسر قراءة من مثيلاتها في جنوبي الرافدين . ويعلق الاستاذ روبرت بيغس على ترجمات بتناتو الاولية ما يلي « قام الايطاليون بترجمة الكلمات السومرية المفهومة ، وهي تشكل (٨٠٪) من مفردات النصوص ، في حين عزوا الكلمات غير المفهومــة الى اللغة المحلية الابلائية ، زد على ذلك اسماء وصفات الحيوانات والنباتات التي نقلوها عن السومرية وترجموها من خلالها » . ويشير الاستاذ **بيغس** الى ان نصوص (إبلا) الادبية تتضمن قصصا وخرافات واساطير واناشيد وابتهالات وتعاويذ وامثالا مشابهة للنصوص السومرية الادبية المعروفة في بلاد ما بين النهرين ، كما ان الالهة **« انكي وانليل واوتو وانانا »** الوارد ذكرها في النصوص ، هي آلهة سومرية بحتة .

ان الموضوع المثير للجدل هو قراءة اسماء علم مثل ابراهيم وعيسو وشاؤول وداوود و «اسرائيل» وميكائيل وإيبر . وقد فسر هذا الاخير على انه الجد الاكبر لابراهيم ، بالاضافة الى اسماء مواقع جغرافية مثل سودوم وعمورة واورشاليم وهازر ولاخيش ومجيدو وغزة وسيناء وجوبة ... الخ ، ناهيك عن ان بتناتو زعم انه قرا نصا عن الخليقة والطوفان مشابها لما هو معروف في التوراة.

لن اعلق على قراءات الاستاذ **« بتناتو »** بشيء ، فقد رد عليه الاستاذ بيغس الذي شكك اصلا في صحة معظم قراءاته الاولية ، حيث ذكر : انه وصل مع بعض المختصين في القراءات المسمارية امثال **« ادموند سولبرغر »** دارس اللغــات القديمة في المتحف البريطاني ، والاستاذ (إدزارد) عضو اللجنة الدولية لقراءة لوحات إبلا ، الى نتيجة مفادها ان معلومات نصوص « ابلا » متشابهة مع النصوص المكتشفة في ارض الرافدين ، وان المعلومات التاريخية والاسطورية في اسفار العهد القديم مقتبسة عن الاصل الرافدي ، وان اسماء مثل سودوم وعمورة كما قراها بتناتو ما هي في الواقع الا احتمالات وفرضيات حيث ان المقطع الواحد يلفظ بعدة اشكال ،

والادهي من كل ذلك والامر الزعم بوجود إله في (ابلا) يدعى (يا)، وربطه باله اليهود « يهوه » .

وكان بتناتو نفسه مترددا في بادىء الامر ، كما ذكر الاستاذ « بيفس » ، عندما قدم اقتراحه بوجود إله (يا) في (ابلا) ، فحذر من مقارنته بـ (يهوه) لصعوبة الحسم في مثل هذه الموضوعات الصعبة والشائكة .

يقول الاستاذ « بيفس » : « انا اشك كثيرا في وجود إله في (إبلا) يدعى (يا) ، وان وافقت بتناتو على مضض بوجود مثل هذا الاله ، فلا اجاريه قطعا على انه يهوه » .

ويضع « بيفس » ثلاثة احتمالات لقراءة المقطع (يا) في الاسماء المركبة ، فهو إما يعني الالوهية عامة ، او انه اسم دلع للتحبب مثل بثن ــ بثينة ، وعز ــ عزة ، والاحتمال الثالث : هو ان كتابة مقطع (يا) بالخط المسماري تشبه كتابة مقطع (آ) و (ني) ، وقد قرا هنا على انه « يا » دون اخذ الاحتمالين بلفظة (آ) و (ني) بعين الاعتبار .

اما اسماء العلم المركبة من اسم كبير الالهة الكنعانية (إيل) مثل اسماعيل وميكائيل في نصوص (إبلا) فلا تختلف عن سواها من اسماء الالهة المركبة في بلاد الرافدين مثل يسمع هدد (ليسمع الاله هدد) ، فمعنى هذا الاسم لا يختلف عن اسماعيل (ليسمع إيل) ، الا في اسم الاله ، فهو هنا « ايل » وهناك « شاماس » و « هدد » و « دجن » ، واحب ان انقل هنا راي الاستاذ (غلب) ، استاذ المسماريات بالمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ، حول المعلومات التي قدمها (بتناتو) في التقرير الاولي الذي نشره عام ١٩٧٧ ، يقول الاستاذ « غلب » : « جهد الاستاذ بتناتو ان يعطينا شرحا وتحليلا لاسماء العلم واسماء المواقع ، ولكنه لم يتطرق الى

الجانب الاهم في اللغة الابلائية ، وهو قواعد اللفظ والنحو والتعبير، اما مقارنته لهذه الاسماء مع الاسماء التوراتية في اسفار العهد القديم ، واعتماده على اللغة العبرية في تفسير ما وصل اليه فهو خطأ فادح » .

وقبل ان يتوفى الاستاذ « غلب » حظيت بمقابلته عام ١٩٨٠ في المعهد الشرقي بشيكاغو ، وسألته عن رايه في كتابات تلميذه « بتناتو » ، فأجاب ساخطا : لقد باع نفسه للشهرة على حساب الموضوعية والابحاث الجادة ، **وكل محاولاته التي بذلها ويبذلها لربط (إبلا) بالتوراة هي محاولات مضللة وهراء بهراء ، هو نفسه غير مقتنع بها .**

* * *

المراجع التي اعتمدها البحث

١ ــ جيوفاني بتناتو ، موسوعة الاشوريات باللغة الالمانية ، كلمة ابلا .

٢ ــ باولو ماتييه ، ابلا اكتشاف امبراطورية قديمة ، باللغة الانكليزية .

٣ ــ روبرت بيفس ، لوحات ابلا ، سلسلة منشورات جمعية الدراسات الرافدية ، باللغة الانكليزية ، ١٩٨٢ .

٤ ــ باولو ماتييه ، تل مرديخ ــ ابلا اقدم مملكة عامرة في سورية ، نقله الى العربية الاستاذ قاسم طوير ، ١٩٧٨ .

٥ ــ مجموعة باحثين ، قاموس الالهة والاساطير في بلاد ما بين النهرين وسورية ، نقله الى العربية محمد وحيد خياطة ، دار الاهالي ، ١٩٧٨

٦ ــ محمد وحيد خياطة ، قراءات في التوراة ، دار طلاس ، ١٩٨٧ .

٧ ــ السوديون من اصل عبري ، جريدة فرانكفورتر الغمانية الالمانية عام ١٩٨٤ .

٨ ــ جورج . ل. كلم ، ابلا اكتشاف مذهل . تعريب ميشيل ازرق ، ١٩٧٨ .

زيارة وفدنا الحزبي والحكومي لجمهورية كوريا الديمقراطية..

● قام الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد بزيارة الى جمهورية كورية الديمقراطية للمشاركة في احتفالات الذكرى الاربعين لاستقلالها .. وضم الوفد الحزبي والحكومي الرفيق رشيد اخترني عضو القيادة القطرية والرفيق ناصر قدور وزير الدولة للشؤون الخارجية .

وقد اجرى الرفيق الاحمر خلال وجوده لقاءات حزبية وحكومية مع المسؤولين الكوريين لتعزيز العلاقات بين الحزبين والبلدين الصديقين .

هذا وقد اعربت جمهورية كوريا الديمقراطية عن اعتزازها العميق لعلاقات الصداقة المتينة التي تربطها مع القطر العربي السوري مؤكدة ان القيادة الحكيمة للرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي جعلت من سورية محط اعجاب وتقدير العالم . وقد جاء ذلك في الكلمة التي القاها بانغ سونغ تشوك نائب رئيس جمهورية كوريا الديمقراطية خلال الحفل الذي اقيم على شرف الوفد الحزبي والحكومي .

وفي الحفل الرسمي الذي اقيم تكريما لوفدنا الحزبي والحكومي عبر عن شكر كوريا الديمقراطية حزبا وحكومة وشعبا لمشاركتها باحتفالات الذكرى الاربعين لتأسيس الجمهورية واعتبر هذه المشاركة تعبيرا حيا عن الصداقة الحميمة التي تربط الحزبين والبلدين التي ارسى اسسها الرئيسان القائدان حافظ الاسد وكيم ايل سونغ .

وفي مهرجان جماهيري كبير اقيم احتفالا بزيارة وفدنا القى الرفيق الامين العام المساعد خطابا اكد فيه ان كوريا الديمقراطية اصبحت رمزا من رموز التحرر والاشتراكية في العالم وصرحا من صروح التقدم والنضال من اجل حل المسالة القومية حلا وحدويا يحفظ حقوق الامة ويحقق اهدافها ومصالحها في العيش الحر المستقل .

وقال ان العلاقات بين شعبينا وحزبينا وقيادتينا علاقات راسخة وقوية ارسى قواعدها اللقاء التاريخي بين الزعيمين العظيمين حافظ الاسد وكيم ايل سونغ عام ١٩٧٤ وتجذرت في ارضية التعاون المثمر في جميع مجالات الحياة ، وترعرعت عبر اللقاءات المنتظمة والمتتالية للوفود الحزبية والحكومية والشعبية رفيعة المستوى التي مثلت الحزبين والبلدين الصديقين .

وتابع يقول ان التشابه في المنطلقات والاهداف والتجانس في المصالح والتوجهات يمثل المضمون الخالص لصداقتنا ولعلاقات التعاون بيننافالامة العربية بقواها التقدمية والوطنية والامة الكورية بحزبها الطليعي في الشمال وبجماهيرها المكافحة وجبهتها الوطنية الديمقراطية في الجنوب كلتاهما فصيلان هامان في الثورة العالمية التي لاتتجزأ والثورة ضد الامبريالية والصهيونية والعنصرية ومن اجل الاشتراكية والتقدم والعدل والازدهار لجميع الشعوب . ان كونية الهجمة الامبريالية وعالميتها تتطلب تواجدا بين فصائل حركة التحرر العالمية وتضامنا تاما في اطار المعركة الواحدة ذات الاهداف المشتركة ، واذا اختلف نشاط الامبريالية والصهيونية في حيثياته باختلاف أجزاء العالم ومناطقه الا ان الاهداف واحدة والمخطط

شمولي ومتكامل يركز على الاستغلال والقهر واستنزاف مقدرات الشعوب والسيطره عليه وتجديد اطر التدخل والتبعية والهيمنة في العالم .

وقال انتم تناضلون من اجل الوحدة وحدة امتكم بشعبها وبارضها وبتاريخها ومستقبلها ، ونحن كذلك نناضل في سبيل وحدة امتنا العربيه العريقه وفي سبيل استعادة دورها الرائد في مسيرة الحضارة البشرية .

انتم تجابهون تواجدا عسكريا امريكيا كبيرا على الارض الكورية وتتصدون لهبسالة ونحن كذلك نواجه استعمارا استيطانيا صهيونيا لايكتفي باحتلال الارض العربية وصهينتها وانمايشن حرب ابادة ضد الشعب العربي الفلسطيني وضد اللبنانيين في الجنوب المحتل والسوريين في الجولان بل وضد الامة العربية باسرها .

وتحدث عن معركة التنمية الشاملة التي تخوضها سورية في اطار التحويل الاشتراكي فقال : لقد حققت سورية انتصارات تاريخية فذة على مستوى البناء الداخلي في مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وعلى المستوى القومي العربي وكذلك على المستوى الدولي واضحت سورية بذلك قلعة التصدي العربي الاولى التي تقف شامخة في وجه مخططات الامبريالية والصهيونية وتحمل بذلك هموم الامة العربية وتدافع عن حقوقها المشروعة بل وعن مصيرها ووجودها امام اعتى عدوان عرفه التاريخ المعاصر عدوان «اسرائيل» التي تدعمها الولايات المتحدة الامريكية .

واختتم كلمته قائلا ان سورية التي تعمل على تمتين البناء الاشتراكي وتوطيد التضامن العربي الفعال في وجه المخططات الامبريالية والصهيونية ونصر القضية الفلسطينية وكذلك مساعدة شعب لبنان الشقيق للخروج من محنته متحدا متماسكا على اساس عروبة بلده والمساواة بين ابنائه . ان سورية في الوقت نفسه تؤكد اهمية تمتين علاقاتها مع القوى والدول الاشتراكية في العالم وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي ، وتحتل كوريا مكان الصدارة في اهتماماتنا هذه . فقضية الثورة لاتتجزا في العالم ولا يمكن ان ينجح احد منا تمام النجاح اذا لم تتضافر جهودنا مجتمعة في مواجهة العدو المشترك الامبريالية والصهيونية والعنصرية والتجزئة

والتخلف . واننا لنفتخر بعلاقات شعبينا وحزبينا وبلدينا المتطورة ونعرب عن استعدادنا الدائم لدفع هذه العلاقات الى رحاب اوسع والى آفاق اشمل .

● **هذا ونتيجة الزيارة والمباحثات بين الوفد الحزبي والحكومي الذي يمثل الجمهورية العربية السورية برئاسة الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب ووفد من حزب العمل الكوري برئاسة الرفيق باك سونغ تشوك نائب رئيس الجمهورية الكورية تم التوقيع على اتفاق تعاون بين حزب البعث العربي الاشتراكي وحزب العمل الكوري لعامي ١٩٨٩ — ١٩٩٠ .**

● نقل الرفيق عبد الله الاحمر تحيات الرفيق الرئيس المناضل حافظ الاسد الحارة وتمنياته الطيبة للرئيس الكوري كيم ايل سونغ خلال استقبال الرئيس الكوري لوفدنا الحزبي والحكومي وعبر عن الارتياح لتطور العلاقات بين الحزبين والشعبين والبلدين الصديقين والعلاقات التي ارسى اسسها الرئيسان حافظ الاسد وكيم ايل سونغ ، كما اكد تأييد سورية لنضال الشعب الكوري الصديق ضد الوجود العسكري الامريكي في جنوب كوريا ومن اجل وحدة الوطن الكوري والبناء المستقل .

كما شكر الرئيس كيم ايل سونغ القيادة في سورية والرفيق الرئيس حافظ الاسد لارساله وفدا رفيع المستوى للمشاركة في احتفالات الشعب الكوري بذكرى الاستقلال ، وعبر عن احترامه واحترام الشعب الكوري لصديقه الرفيق المناضل حافظ الاسد وقال ان الرئيس حافظ الاسد قائد عظيم يتمسك بحزم بالاستقلالية التامة ويناضل من اجل الدولة العربية والتضامن العربي ويناضل بقوة ضد العدوان الاسرائيلي وضد الامبريالية والصهيونية ، كما انه يهتم اهتماما بالغا بنضال الشعب الكوري ويبدي تاييده لهذا النضال ..

● وفي نهاية الزيارة عقد الرفيق الامين العام المساعد مؤتمرا صحفيا في العاصمة الكورية بيونغ يانغ تحدث فيه عن تطور علاقات الصداقة والتعاون المثمرة ، واعرب عن ارتياحه لتطورها وشمولها واجاب عن اسئلة الصحفيين شارحا موقف القطر العربي السوري المبدئي والثابت من جميع التطورات في المنطقة وبشكل خاص الوضع على الساحتين الفلسطينية واللبنانية مؤكدا تصميم سورية على صيانة حقوق الامة العربية في التحرير والتقدم ، كما اكد اهمية

تعزيز الروابط داخل الجبهة العالمية المناهضة للامبريالية والصهيونية والعنصرية والمناضلة من اجل التقدم والتطور .

● وفي طريق عودته من كوريا الديمقراطية زار الرفيق الامين العام المساعد موسكو حيث اجتمع مع الرفيق اناتولي دوبرنين سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي رئيس مكتب العلاقات الدولية بحضور اعضاء الوفد وسفيرنا في موسكو، وتبادل الجانبان الاراء والمعلومات حول السياسة الداخلية والخارجية لبلديهما وحزبيهما في هذا الاطار واعربا عن ارتياحهما البالغ لتطور علاقات الصداقة والتعاون المثمر بين الحزبين والبلدين في جميع المجالات .

واكد الجانبان ان هذه العلاقات تتطور باستمرار استنادا الى مبادىء النضال المشترك وقرارات حزبيهما وللمصالح المشتركة للشعبين والبلدين الصديقين ، كما اكدا ان العلاقات الشخصية المتينة بين الرفيقين حافظ الاسد وميخائيل غورباتشوف تشكل مرتكزا اساسيا لتطور هذه العلاقات .

من جهته اكد دوبرنين مواصلة تأييد الاتحاد السوفييتي للنضال العربي من اجل التحرر والتقدم وتحقيق تسوية عادلة وشاملة للوضع في الشرق الاوسط على اساس استعادة الاراضي العربية المحتلة واقرار حقوق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير المصير لا سيما في اقامة دولته المستقلة .

واشاد دوبرنين بدور سورية الفعال والاساسي في مواجهة العدوان الاسرائيلي والمخططات الامبريالية في المنطقة وعبر عن تقديره للنهج التقدمي المعادي للامبريالية الذي تنتهجه سورية مؤكدا ان موقف الاتحاد السوفييتي في تأييد النضال العربي ثابت لن يتغير .

كما عبر الرفيق الاحمر عن تقدير سورية حزبا وحكومة وشعبا لمبادرات الاتحاد السوفيتي السلمية الرامية الى تحقيق الانفراج وتخفيف حدة التوتر في العالم ، واشاد بموقف الاتحاد السوفييتي في دعمه الحق العربي وتأييد نضال الجماهير العربية في مواجهة العدوان الصهيوني المستمر ومن اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة واقرار الحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني وتحقيق التطور التقدمي والمستقل لشعوب المنطقة .

انشطة ووثائق

القيادة القومية

الامين العام للحزب يرئس اجتماع

القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية

● عقدت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية اجتماعا برئاسة الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب ، وقد استمعت القيادة المركزية الى عرض شامل من الرفيق الامين العام للحزب لتطورات الوضع في المنطقة وعلى الساحة العربية في ضوء الصراع العربي ـ الصهيوني وآخر المستجدات في منطقة الخليج والوضع على الساحة الدولية .

وناقشت القيادة المركزية مختلف المسائل التي اتى عليها عرض الرفيق الامين العام للحزب ومن جوانبها المتعددة .

ورحبت القيادة المركزية بموافقة الجمهورية الاسلامية الايرانية على قرار مجلس الامن رقم ٥٩٨ الذي يشكل منطلقا لحل عادل للحرب المدمرة ، التي شنها النظام العراقي ضد الثورة الايرانية دون مبرر .

ولاحظت القيادة المركزية ان هذه الحرب استنزفت امكانات العراق وايران واخرجت طاقاتهما من المواجهة مع العدو الصهيوني

في فلسطين ، كما اضرت بالقضية العربية عموما وحققت ماتريده الامبريالية والصهيونية من اطماع ونفوذ في المنطقة وفي الوقت الذي استبشر فيه العرب والعالم بتوفر امكانية لوقف هذه الحرب وتحقيق السلام واخراج الاساطيل الاجنبية من الخليج .. كما لاحظت ان النظام العراقي يعمد الى وضع العراقيل في طريق تنفيذ هذا القرار وهذا مايؤكد مواقف هذا النظام الذي كان يصر دائما على توسيع نطاق هذه الحرب واستمرارها بعد ان اشعلها .

واعتبرت القيادة المركزية قرار ايران ايجابيا ودانت مواقف النظام العراقي التي لاتزال مستهترة بشعبنا في العراق وبالقضايا المصيرية للامة العربية .

وابدت القيادة المركزية التضامن مع نضال شعبنا في العراق وقواه الوطنية ضد النظام الفاشي الدموي وممارساته .

وناقشت القيادة المركزية المسائل المتعلقة بالصراع العربي الصهيوني فاشادت بنضال شعبنا في الاراضي المحتلة وصموده الباسل في وجه الاعمال الاجرامية التي يمارسها المحتلون الصهاينة يوميا ، هذا النضال الذي تجسده الانتفاضة التي دخلت شهرها التاسع في مختلف مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ووجدت في ذلك تصميما على مواصلة نهج الكفاح الذي تمثل سورية قاعدته .

وناقشت القيادة المركزية قرار الاردن بفك الارتباط القانوني والاداري مع الضفة الغربية المحتلة ووجدت ان القرار يقطع الطريق على فكرة الوطن البديل الذي يعمل العدو الصهيوني لتحقيقها في سعيه لتصفية قضية فلسطين كما يستجيب لقرارات مؤتمرات القمة العربية التي اعتبرت منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني ، وفي حال بروز اشكالات يمكن ان ترتب اعباء اضافية على المواطنين العرب في الاراضي المحتلة فعلى الدول العربية مجتمعة ومنفردة ان تتحمل مسؤوليتها في ايجاد الحل المناسب لهذه الاعباء .

ودانت القيادة المركزية في الوقت نفسه التحركات والاتصالات المشبوهة من اجل حلول جزئية استسلامية تؤدي الى تصفية قضية فلسطين .

وبصدد الوضع في لبنان الشقيق ابدت القيادة المركزية ارتياحها للجهود التي تبذلها سورية لتوفير المناخات الملائمة لانتخاب رئيس جديد للجمهورية في اجواء ديمقراطية طبيعية على طريق الوفاق الوطني واخراج لبنان من الوضع الشاذ القائم حاليا.

ولدى استعراض القيادة المركزية للوضع الدولي والجهود الرامية لتحقيق الانفراج وتوطيد السلام في مختلف مناطق العالم لاحظت انه في الوقت الذي يركز فيه الاتحاد السوفيتي جهوده على اطفاء بؤر التوتر في العالم ودرء الحرب النووية وتحقيق انفراج في العلاقات الدولية تمضي الامبريالية في هجمتها الشرسة لاعادة بسط هيمنتها وتوسيع نفوذها والتدخل في الشؤون الداخلية لعدد من البلدان في مناطق مختلفة من العالم مما يشكل عقبة حقيقية في طريق الجهود الرامية الى تخفيف حدة التوتر وتحقيق السلام .

وجددت القيادة المركزية في هذه المناسبة تأكيدها تعزيز عرى الصداقة والتعاون القائمين بين البلدين الصديقين سورية والاتحاد السوفييتي واللذين يعسكان مصالح شعبي البلدين ونضالهما المشترك من اجل التقدم والسلام .

وثمنت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية الدور الكبير الذي يقوم به الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية رئيس الجبهة الوطنية التقدمية والجهود التي يبذلها في قيادته لنضال الجماهير العربية وتصديه لمخططات اعداء الامة العربية وسعيه الدائم لنصرة قضايا نضالها التحرري العادلة ، ورات في ذلك تعزيزا للوحدة الداخلية لجماهير شعبنا الملتفة حول قيادته التاريخية الحكيمة والشجاعة وتحقيق اهداف هذه الجماهير .

الامين العام المساعد يلتقي بالرفاق المشاركين في دورة الاعداد الحزبي المركزية

● التقى الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب الرفاق المشاركين في دورة الاعداد الحزبي المركزية في المعهد لعالي للعلوم لسياسية .

وقد تحدث الرفيق الامين العام المساعد عن اهمية هذه الدورات في اعداد الكوادر الحزبية وفي فهم عقيدة الحزب واستراتيجيته النضالية من خلال دراسة معمقة لادبياته ومقررات مؤتمراته القومية والقطرية .

واشار الى الدور الطليعي والمسؤول الذي يضطلع به الرفاق الحزبيون اينما وجدوا بين ابناء الشعب وفي مواقع العمل في المجالات كافة ، كما يؤكد اهمية الاستعداد للمزيد من العطاء والتضحية لتجسيد القيم النضالية لحزبنا ولدفع المسيرة النضالية لامتنا نحو بلوغ اهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية .

ثم تحدث عن التطورات على الساحتين العربية والدولية ولاسيما مسألة الصراع العربي الصهيوني والقضية الفلسطينية والانتفاضة الشعبية المتواصلة لشعبنا العربي الفلسطيني في الاراضي العربية المحتلة وضرورة دعمها بكل الوسائل لمقاومة الاحتلال ودحره واستعادة الحقوق المغتصبة .

واكد الرفيق الاحمر نهج سورية الوطني والقومي بقيادة الرفيق المناضل حافظ الاسد بالتصدي للمخططات الامبريالية والصهيونية وادوار القوى المشبوهة التي تستهدف قضايا النضال العربي .

مهرجان خطابي دعما لابطال منظمة ثورة مصر في نضالها لاعادة مصر الى موقعها النضالي ..

● تحت رعاية الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب اقامت اللجنة القومية للدفاع عن منظمة ثورة مصر وخالد

عبد الناصر مهرجانا خطابيا دعما ومساندة لابطال منظمة مصر في مواجهتها نظام كامب ديفيد ونضالها من اجل اعادة مصر الى موقعها النضالي في مسيرة الامة العربية .

ناب عن الرفيق الامين العام المساعد في رعاية المهرجان الرفيق الدكتور فواز صياغ عضو القيادة القومية الاحتياط للحزب . وحضره بعض الرفاق اعضاء القيادة القومية والرفاق اعضاء القيادات القطرية للتنظيم الفلسطيني والعراقي والاردني للحزب ورئيس اللجنة القومية للدفاع عن ثورة مصر وامين سر القيادة المؤقته لحركة فتح الانتفاضة والامين المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة والامين العام للحزب الشيوعي الفلسطيني وعضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبعض ممثلي فصائل الثورة الفلسطينية ، وحضر ايضا المهرجان ممثلو منظمة مصر لحزب البعث العربي الاشتراكي والحركة الوطنية اللبنانية وعدد من الاحزاب والمنظمات العربية وحركات التحرر العربية والمنظمات الشعبية العربية .

القى الرفيق الدكتور صياغ كلمة نقل في مستهلها تحيات قيادة الحزب وامينه العام الرفيق المناضل حافظ الاسد ثم تحدث عن معاني ثورة ٢٣ تموز في القطر المصري الشقيق واهدافها التي شكلت منعطفا في مصر والوطن العربي .

وقال : في الوقت الذي تتصاعد فيه الهجمة الامبريالية الصهيونية على الوطن العربي وتبرز فيه الاخطار المدمرة التي الحقتها اتفاقات كامب ديفيد بمصر والامة العربية ، وتاريخها ونضال ابنائها ، تلك الاتفاقات التي ورثها النظام المصري الحالي بعد السادات واضاف عليها اعباء جديدة لمصر وللعرب جميعا تمثلت في الداخل بضرب القوى الوطنية التقدمية وفي الخارج استقطاب جديد لانظمة عربية تهادنت معه ومدت يدها في نهاية المطاف لمصافحته واعادت فتح سفاراتها الى جانب سفارة العدو الصهيوني في القاهرة .

وفي هذا الوقت بالذات وبعد تصاعد الانتفاضة الجماهيرية في فلسطين المحتلة وازدياد تأثيرها وشمولها حتى الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٤٨ ،في هذا الوقت بالذات اثارت اجهزة الاستخبارات الصهيونية والامريكية المتعاونة مع اجهزة النظام المصري قضية ثورة مصر في محاولة يائسة لتوجيه الانظار عما يجري في الوطن المحتل ، وللتغطية عما يجري في مصر نفسها حيث يزداد اتساع نطاق المعارضة الجماهيرية للاحتلال والتطبيع والنهج الاستسلامي للنظام الذي رفض الخيار القومي العربي وسار في الطريق الصهيوني والامبريالي.

وقال الرفيق صياغ : ان شباب منظمة ثورة مصر قاموا بعمل وطني يتوافق مع كل القيم التي رسختها ثورة مصر منذ قيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وان نضالهم يصون الجسم العربي في مصر من الاختراق الصهيوني ويعرقل سياسة التطبيع الصهيونية التي يحاول النظام المصري فرضها على شعب مصر الابي.

وتابع الرفيق صياغ يقول لقد كانت سورية عبر تاريخها الحافل سباقة الى التفاعل مع مايجري في الوطن العربي من احداث تمس القضايا المصيرية للجماهير وفي كل مرة تتعرض لها مصالح الامة ومستقبلها للتهديد والتشويه منذ بدء التاريخ العربي مرورا بفترة الحروب الصليبية حين هبت سورية لمواجهة تلك الغزوة عندما تحقق اكبر انتصار لها في معركة حطين التي مرت ذكراها في الشهر الماضي ، وقاومت بعد ذلك الاحتلال العثماني وعلى مدى اربعة قرون ، وفي التاريخ الحديث وقفت سورية تقارع الاحتلال الاجنبي ليس لسورية فحسب ، بل وللاقطار العربية جميعها حتى تحقق جلاء الاحتلال عن معظمها .

وبالنسبة لفلسطين خاصة ، وهبت سورية خيرة ابنائها وسخرت معظم طاقاتها في مواجهة اشرس تلك الاحتلالات التي مرت في تاريخ امتنا من شرقها حتى مغربها ، وقد ترسخت قيم المواجهة والصمود والتصدي للصهيونية حين قاد حزب البعث العربي الاشتراكي جماهير سورية في مسيرة ثورية حافلة بالانجازات

والانتصارات وكان الحزب وخلال تاريخه يضع في مقدمة همومه قضية العرب المركزية « قضية فلسطين » وهذا التزام مصيري لا يمكن النكوص عنه او التراجع فيه امام العدو الصهيوني العنصري الغاصب .

ان نظرة فاحصة لمعظم مايجري اليوم في وطننا العربي مرتبط بشكل او آخر بما يجري في فلسطين حيث وسعت الصهيونية وبمساعدة الولايات المتحدة الامريكية والقوى الامبريالية والرجعية الحليفة لهما نطاق احتلالها للاراضي الفلسطينية والاراضي العربية المجاورة وازداد تأثيرها ليشمل مناطق وانظمة عربية تحالفت مع العدو ، ومايجري في مصر الان هو نتيجة واضحة لذلك . لذا فمن الطبيعي ان تكون سورية بقيادة حزبها المجيد حزب البعث العربي الاشتراكي وامينه العام الرفيق حافظ الاسد من الطبيعي ان تكون موئلا وحاضنا لكل القوى الوطنية والتقدمية التي تكافح في سبيل الاهداف المشتركة وعلى قاعدة مقاومة الصهيونية العنصرية واهدافها والمتعاونون معها . وان مايحمله جميع المناضلين العرب لسورية من حب وتقدير انما ينبع من هذه الحقيقة : بان سورية للعرب جميعهم بقدر ماهي للعرب السوريين ، لذا فمساحتها بالنسبة للقوى الوطنية العربية هي مساحة الوطن العربي كله ،لان همها هو هم العرب باجمعهم .

● منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي

القطر العراقي

● ناشد حزب البعث العربي الاشتراكي قيادة قطر العراق والحزب الشيوعي العراقي جميع القوى الوطنية في العراق وعلى ضوء المستجدات للنهوض بمساعيها من اجل توحيد الجهود واقامة الجبهة الوطنية العريضة بدءا بتطوير اشكال وصيغ التعاون بين القوى والشخصيات القومية والكردية والدينية والديمقراطية على اساس استقلالية النضال الوطني العراقي في سبيل انهاء الحرب

واسقاط السلطة الدكتاتورية الفاشية واقامة سلطة وطنية وديمقراطية ائتلافية .

جاء ذلك في البيان المشترك الصادر عن الحزبين والذي دعا جماهير الشعب وجماهير الجنود والضباط الوطنيين وجميع البعثيين الحقيقيين وكل قوى الخير والسلم في العراق الى النضال من اجل السلام الديمقراطي العادل للخلاص من كابوس الدكتاتورية الفاشية ووقف المجازر الدموية ضد ابناء شعبنا وازالة حملات الارهاب والقمع ضده .

كما قال البيان : ان الوضع الجديد يتطلب التصدي لمناورات الامبريالية التي لها مصلحة رئيسية في استمرار هذا النزيف المروع والساعية لتوطيد نفوذها في المنطقة .

ولقد فضح البيان دور نظام صدام الدموي في المنطقة ومحاولاته لاعاقة احلال سلام حقيقي بين الشعبين العراقي والايراني .

وناشد جماهير شعبنا جنودا وضباطا وطنيين عمالا وفلاحين للتصدي لهذا النهج في حال استمراره او تجدده بصيغ او باشكال اخرى لزمرة صدام وفضحه ومقاومته .

لقد اكد البيان الصادر عن الحزبين انهما ادانا اشعال نظام صدام لهذه الحرب البشعة منذ ايامها الاولى موضحين ان تعنت سلطة صدام حسين ازاء وقف اطلاق النار وازاء تطبيق بنود قرار مجلس الامن يكشف بوضوح كذب المزاعم السلمية لهذا النظام واقدامه على مواصلة المجزرة وابقاء حالة التوتر والعسكرة للحصول على مكاسب آنية لنظام حكمه من جهة ولتفادي عقاب الشعب وحسابه .